مشهد الحوار بين أصحاب الجنة والنار والأعراف في سورة الأعراف

د. عماد بن زهير حافظ
قسم التفسير وعلوم القرآن
كلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية
الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة



مشهد الحوار بين أصحاب الجنة والنار والأعراف في سورة الأعراف

د. عماد بن زهير حافظ
قسم التفسير وعلوم القرآن
كلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية
الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

ملخص البحث:

يعد مشهد الحوار بين أصحاب الجنة والنار والأعراف في سورة الأعراف من أطول مشاهد يوم القيامة ذكراً في القرآن الكريم، لا يملك المؤمن الخاشع قلبه حينما يقرأ آياته أو يسمعها إلاّ أن يقشعِرّ جلده وتذرف عيناه دمعاً، ولمّا رأيت عِظَم هذا المشهد وما يدور فيه من حوار يحمل في طيّاته دلائل على الحقّ ومواعظ للخلق وإفادات وإشارات مهمّة مع وجود طرف وسط ثالث عجيب حاله بين أصحاب الجنّة وأصحاب النّار لم يذكر في القرآن إلاّ هنا، ولوجوده دور هامٌ في الحوار لبيان حقائق وكشف دلائل وفوائد.. لمّا رأيت ذلك عزمت متوكّلاً على الله تعالى بأن يكون لي وقفات مع آياته الكريمة أحاول فيها إظهار معانيه وشيء من حكمه وغاياته وفوائده – بتوفيق من الله وتيسير – عسى أن أتعرّف على تفاصيل هذا المشهد وما يدلّ عليه، وأقدّم فيها لنفسي وإخواني المؤمنين ما ينفعني وينفعهم في حسن وإخلاص التوجّه إلى الله تعالى، والاستعداد للقائه والشوق إلى رؤيته، والعمل لنيل جنّته ورضوانه، والبعد عن كلِّ ما يُدني من عقابه وسخطه.. فكانت هذه الدراسة القرآنية حول مشهد الحوار هذا، وبعد اطّلاعي على آياته الكريمة وما حوته من المواقف والمقاطع قسّمت البحث فيها على تمهيد وأربعة فصول وخاتمة.



المقدمة :

الحمد لله الذي بيده ملكوت كلِّ شيء وكان بعباده خبيراً بصيراً، والصّلاة والسّلام على من بُعِث بين يدي السّاعة بشيراً ونذيراً، وعلى آله وصحبه ومن سار من بعدُ على الحقّ مستبصراً به و له نصيراً . أمّا بعد :

مشهد عظيم من أطول مشاهد يوم القيامة ذكراً في القرآن الكريم، لا يملك المؤمن الخاشع قلبه حينما يقرأ آياته أو يسمعها إلاّ أن يقشعرّ جلده وتذرف عيناه دمعاً، ويرقّ قلبه ويرجف، لما فيها من المواقف الحافلة بالحركة والمناظر المتتابعة والحوار المتنوّع بين الرّغبة والرّهبة والرّجاء والخوف.. مشهد يُعرض حياً بكلّ حركاته وسكناته مع دلائله وإيحاءاته، تنقلها كلمات الحقّ سبحانه نقلة مؤثّرة من مشاعر إلى أخرى وكأنّما تراها رأي العين ليس بينها حجاب أو فاصل زمنيّ بعيد.. ذلك هو مشهد الحوار بين أصحاب كلٍّ من الجنّة والنّار والأعراف الذي أخبر الله عزّ وجلّ عنه في سورة الأعراف، حيث يجتمع الجميع في يوم القيامة كلٌّ بمشاعره وانفعالاته واهتماماته... يصوّر القرآن الكريم هذا المشهد تصويراً رائعاً يأخذ بلبّ المؤمن وينهض بكلّ أحاسيسه ويضعه وسط هذا الجمع المختلف في الموقِع والشعور والكلمة والحركة والنبْرة.. ولمّا رأيت عِظَم هذا المشهد وما يدور فيه من حوار يحمل في طيّاته دلائل على الحقّ ومواعظ للخلق وإفادات وإشارات مهمّة مع وجود طرف وسط ثالث عجيب حاله بين أصحاب الجنّة وأصحاب النّار لم يذكر في القرآن إلاّ هنا، ولوجوده دور هامٌّ في الحوار لبيان حقائق وكشف دلائل وفوائد.. لمّا رأيت ذلك عزمت متوكّلاً على الله تعالى بأن يكون لي وقفات مع آياته الكريمة أحاول فيها إظهار معانيه وشيء من حكمه وغاياته وفوائده– بتوفيق من الله وتيسير – عسى أن أتعرّف على تفاصيل هذا المشهد وما يدلّ عليه، وأقدّم فيها لنفسي وإخواني المؤمنين ما ينفعني وينفعهم في حسن وإخلاص التوجّه إلى الله تعالى، والاستعداد للقائه والشوق إلى رؤيته، والعمل لنيل جنّته ورضوانه، والبعد عن كلِّ ما يُدني من عقابه وسخطه.. فكانت هذه الدراسة القرآنية حول مشهد الحوار هذا، وبعد اطّلاعي على آياته الكريمة وما حوته من المواقف والمقاطع قسّمت البحث فيها على تمهيد وأربعة فصول وخاتمة.

أمّا التمهيد فهو بعنوان: التعريف بالأعراف ورجالها.

وأمّا الفصول الأربعة فهي على ما يلي :

الفصل الأوّل: " نداء أصحاب الجنّة أصحاب النّار". وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأوّل: مناسبة مجيء مشهد الحوار في موضعه من السورة .

المبحث الثاني: موضوع النّداء وغايته وجواب أصحاب النّار عنه.

المبحث الثالث: الإعلام بلعن أصحاب النّار وذِكْر أوصافهم.

الفصل الثاني: " نداء أصحاب الأعراف أصحاب الجنّة" وفيه مبحثان:

المبحث الأوّل : نداء السّلام .

المبحث الثاني : حال أصحاب الأعراف عند رؤية أصحاب النّار.

الفصل الثالث:"نداء أصحاب الأعراف رجالاً من أصحاب النّار".وفيه مبحثان:

المبحث الأوّل: نداء التقريع والتبكيت للمستكبرين من أصحاب النّار.

المبحث الثّاني: خطاب الله تعالى لأصحاب الأعراف بدخول الجنّة.

الفصل الرابع: " نداء أصحاب النّار أصحاب الجنّة " . وفيه مبحثان :

المبحث الأوّل : نداء الاستغاثة والإجابة عنه.

المبحث الثاني : كلام الله تعالى في التعقيب على الحوار .

وأمّا الخاتمة فقد ذكرت فيها أهمّ النتائج والمقترحات .

هذا ولقد كان منهجي في البحث متمثلاً فيما يلي :

- الاعتماد على الأقوال الصحيحة والراجحة من أقوال المفسرين و أهل العلم ، والتي يؤيّدها الدليل والحجّة والسِّياق القرآني الكريم.
- العناية بذكر القراءات المتواترة مع توجيهها .
- بيان ما يواجهني من الغريب في الهامش دون المتن؛ لأنّه ليس من منهج البحث التفسير التحليلي بكلّ عناصره، بل يقتصر فيه على ما يؤدّي الغرض من الكلام.
- العناية بإظهار المناسبة بين فقرات مشهد الحوار ومقاطعه وآياته والرّبط بين أجزائه .
- العناية بذكر اللطائف اللغوية والبلاغية وما أراه من الفوائد والاستنباطات وبعض الدلالات الهادفة من الآيات الكريمة.

وأخيراً أسأل الله العليّ القدير أن يوفقني في هذا البحث لقول الحقِّ والسداد و يتقبّله مني في ميزان حسناتي يوم ألقاه وأن يغفر لي ما كان فيه من قصور أو خطأ أو نسيان.آمين .

وآخر دعواي أن الحمد لله ربّ العالمين . وصلّ اللهمّ وسلّم وبارك على نبينا وسيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ومن اهتدى بهديه واستنّ بسنّته إلى يوم الدين.

* * *

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدۡ وَجَدۡنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقّٗا فَهَلۡ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمۡ حَقّٗاۖ قَالُواْ نَعَمۡۚ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنُۢ بَيۡنَهُمۡ أَن لَّعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبۡغُونَهَا عِوَجٗا وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ كَٰفِرُونَ ﴿٤٥﴾ وَبَيۡنَهُمَا حِجَابٞۚ وَعَلَى ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٞ يَعۡرِفُونَ كُلَّۢا بِسِيمَىٰهُمۡۚ وَنَادَوۡاْ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡۚ لَمۡ يَدۡخُلُوهَا وَهُمۡ يَطۡمَعُونَ ﴿٤٦﴾ ۞ وَإِذَا صُرِفَتۡ أَبۡصَٰرُهُمۡ تِلۡقَآءَ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِ قَالُواْ رَبَّنَا لَا تَجۡعَلۡنَا مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾ وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٗا يَعۡرِفُونَهُم بِسِيمَىٰهُمۡ قَالُواْ مَآ أَغۡنَىٰ عَنكُمۡ جَمۡعُكُمۡ وَمَا كُنتُمۡ تَسۡتَكۡبِرُونَ ﴿٤٨﴾ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمۡتُمۡ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحۡمَةٍۚ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمۡ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ ﴿٤٩﴾ وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَنۡ أَفِيضُواْ عَلَيۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ أَوۡ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُۚ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمۡ لَهۡوٗا وَلَعِبٗا وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۚ فَٱلۡيَوۡمَ نَنسَىٰهُمۡ كَمَا نَسُواْ لِقَآءَ يَوۡمِهِمۡ هَٰذَا وَمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ ﴾

التمهيد : التعريف بالأعراف ورجالها :

قبل الدخول في بيان مشهد الحوار بين أصحاب كلٍّ من الجنة والنّار والأعراف، يجدر بي ويلزمني أن أعرّف برجال الأعراف، والذين وصفهم الله تعالى بهذا الوصف، وذلك لأنّ بيان هذا المشهد يعتمد على معرفة ماهيّتهم وحقيقتهم.

هذا وقد بدأ النصّ القرآني الكريم في بيان حقيقتهم بالإخبار أنّ بين الجنّة والنّار حجاباً، أي سوراً يفصل بينهما يمنع من وصول أثر كلٍّ منهما إلى الأخرى إذ قال الله عزّوجلّ : ﴿ وبينهما حجاب ﴾، وهذا السور الحاجز المانع هو الذي ذكره تعالى في آية سورة الحديد بقوله : ﴿.. فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴾[1]، وباطنه الذي فيه الرحمة من جهة الجنّة، وظاهره الذي من قبله العذاب هو من جهة النّار[2]. فهذا هو الحجاب وطبيعته وغايته التي جعل من أجلها، ثمّ يجيء بعد ذلك ذكر الأعراف ورجالها ، حيث يقول الحقّ سبحانه: ﴿ وعلى الأعراف رجال ﴾ ، والأعراف في اللغة جمع عُرْف (بضمّ العين وسكون الراء – وقد تضمّ الراء) ، والعرف هو أعلى الشيء، وهو كلّ عال مرتفع أيضاً، ومنه سمِّي عُرف الفرس وهو الشعر الذي في أعلى رقبته، وعرف الديك وهو اللحمة المستطيلة في أعلى رأسه ، وكلّ مرتفع من الأرض عرف، لأنّه بسبب ارتفاعه وظهوره يصير أعرف ممّا انخفض منه.

وعلى ما سبق بيانه في اللغة فالمراد بالأعراف –هاهنا– أعالي وشرفات هذا السور الذي جعله الله بين الجنّة والنّار[3].

---

(١) سورة الحديد: الآية (١٣) . وسمي السور حجاباً لأنّه يقصد منه الحجب أي المنع. كما سمي سوراً باعتبار الإحاطة. (انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور ج٨ ص١٤١) .

(٢)انظر: تفسير الطبري ج٨ ص١٣٦، تفسير البغوي ج٢ ص١٦٢، البحر المحيط لأبي حيّان ج٤ ص٣٠١، تفسير الثعالبي ج٢ ص٢٠، نظم الدرر للبقاعي ج٣ ص٣٦، تفسير أبي السعود ج٣ ص٢٣٠، تفسير القاسمي ج٧ ص٨٧، تفسير البيضاوي ج٣ ص١١، تفسير المنار لمحمد رشيد رضا ج٨ ص٤٣٠، أضواء البيان للشنقيطي ج٢ ص٣٠١، التحرير والتنوير لابن عاشور ج٨ ص١٤٠.

(٣) انظر: لسان العرب لابن منظور ج٩ ص٢٤١، تفسير الطبري ج٨ ص١٣٦، تفسير الماوردي ج٢ ص٢٩، تفسير الثعالبي ج٢ ص٢٠، تفسير ابن كثير ج٢ ص٢٩٠، تفسير القرطبي ج٧ ص٢١١، غرائب القرآن للنيسابوري ج٨ ص١٢٠، تفسير أبي السعود ج٣ ص٢٣٠، تفسير البيضاوي ج٣ ص١١، زاد المسير لابن الجوزي ج٣ ص٢٠٥، تفسير الآلوسي ج٨ ص١٢٤، محاسن التأويل للقاسمي ج٧ص٨٨، فتح القدير للشوكاني ج٢ ص٢١٦، التحرير والتنوير لابن عاشور ج٨ ص١٤١، تفسير السعدي ج٣ ص٣٢ .

التعريف برجال الأعراف :

وبعد أن اتضح – فيما سبق ذكره – المراد بالأعراف ، فإنّه يمكن من بعد التعريف برجالها ، فعلى هذه الأعراف رجال أوقفوا فيها ينتظرون رحمة الله تعالى وفضله بإدخالهم الجنّة؛ حيث إنّهم قوم تساوت واعتدلت حسناتهم وسيئاتهم؛ فقصرت بهم الحسنات عن الجنّة، ولم تبلغ بهم السيئات النّار، فتأخّر دخولهم الجنّة حتى يقضي الله في أمرهم [1].

وهذا هو القول الصحيح والراجح في حقيقة رجال الأعراف والذي دلّت عليه الآيات الكريمة في هذا المقام ، مع الآثار الواردة في شأنهم التي يعضّد بعضها بعضاً، وهذا هو الذي ذهب إليه جمهور أهل العلم من الصحابة رضي الله عنهم والسلف والخلف رحمهم الله تعالى، ودون هذا القول أقوال لا مستند لها وهي بحاجة إلى تنصيص واضح ودلالة راجحة[2]. وأمّا هذا القول الرّاجح فقد روي فيما يدلّ عليه أحاديث مرفوعة عن النبي صلى الله عليه وسلم وإن كانت لا تكاد تخلو أسانيدها من ضعف، منها ما رواه الحافظ ابن عساكر في تاريخ دمشق[3] من طريق مؤمّل بن إسماعيل قال حدثنا عبّاد بن كثير عن أبي الزبير عن جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " يوضع الميزان يوم القيامة فتوزن الحسنات والسيئات فمن رجحت حسناته مثقال صؤابة[4] دخل الجنة، ومن رجحت سيئاته على حسناته مثقال صؤابة دخل النار. قيل: يا رسول الله فمن استوت سيئاته وحسناته. قال: أولئك أصحاب الأعراف ﴿لم يدخلوها وهم يطمعون﴾. أقول: وهذا الإسناد ضعيف من أجل عبّاد بن كثير فإنّه

---

(١) انظر: تفسير الطبري ج٨ ص١٣٩؛ معاني القرآن للفرّاء ج١ ص٣٨٠؛ تفسير ابن كثير ج٢ ص٢٩١؛ البحر المحيط لأبي حيان ج٤ ص٣٠٢–٣٠٣؛ تفسير القرطبي ج٧ ص٢١١؛ نظم الدرر للبقاعي ج٣ ص٣٦؛ زاد المسير لابن الجوزي ج٣ ص٢٠٥؛ تفسير أبي السعود ج٣ ص٢٣٠؛ تفسير الخازن ج٢ ص٢٣٢–٢٣٣؛ تفسير البيضاوي ج٣ ص١١؛ فتح القدير ج٢ ص٢١٦؛ تفسير الجلالين وحاشية الصاوي ج٢ ص٧٠؛ تفسير المنار ج٨ ص٤٣٥؛ تفسير السعدي ج٣ ص٣٢ .

(٢) من ذلك ما قيل : إنهم هم الشهداء ، وقيل : هم فضلاء المؤمنين فرغوا من شغل أنفسهم وتفرغوا لمطالعة أحوال الناس ، ذكره مجاهد ، ومنها ما قيل أيضاً هم قوم أنبياء ، ذكره الزجاج ، وقيل كذلك هم أولاد الزنا ، وقيل هم ملائكة موكلون بهذا السور يميزون الكافرين من المؤمنين قبل إدخالهم الجنة ، ذكره أبو مجلَز. (انظر : فتح القدير للشوكاني ج ٢ ص ٢١٦).

(٣) تاريخ دمشق: ج١٤ ص ٣١٣ .

(٤) الصؤابة بيضة القملة . (انظر: مختار الصحاح للرازي ص ٣٧٥) .

متروك[1]، وفيه أيضاً مؤمّل بن إسماعيل وقد تُكلّم في حفظه[2]، كما أنّ فيه عنعنة أبي الزبير وهو صدوقٌ يدلِّس[3]. وقد ذكر السيوطي هذا الحديث في الدرّ المنثور[4] وعزاه إلى ابن عساكر بهذا اللفظ، كما عزاه أيضاً إلى أبي الشيخ وابن مردويه ولم أجده في كتابيهما المطبوعين " العظمة لأبي الشيخ وثلاثة مجالس من أمالي ابن مردويه". وقد بسط ابن كثير شواهد عدّة من الأحاديث المرفوعة بنحو هذا اللفظ منها ما ساق إسناده من طريق ابن مردويه بسنده إلى النعمان بن عبد السلام قال حدثنا شيخ لنا يقال له أبو عبّاد عن محمد بن عبد الله بن عقيل عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عمّن استوت حسناته وسيئاته فقال: أولئك أصحاب الأعراف ﴿لم يدخلوها وهم يطمعون﴾. ثمّ قال: وهذا حديث غريب من هذا الوجه[5]. ثمّ أفاض بذكر شواهد لهذا الحديث وختم ذلك بقوله : " والله أعلم بصحّة هذه الأخبار المرفوعة وقصاراها أن تكون موقوفة وفيه دلالة على ما ذكر"[6]. وقوله:" وفيه دلالة على ما ذكر" إشارة إلى ما بدأ به كلامه عن هذه الروايات حيث قال: " واختلفت عبارات المفسرين في أصحاب الأعراف من هم، وكلّها قريبة ترجع إلى معنى واحد، وهو أنّهم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم، نصّ عليه حذيفة بن اليمان وابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهم وغير واحد من السلف والخلف رحمهم الله تعالى"[7].

أقول: أمّا الأثر عن حذيفة رضي الله عنه فقد رواه ابن جرير الطبري في تفسيره بسنده عنه رضي الله عنه أنه سئل عن أصحاب الأعراف فقال: هم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم فقعدت بهم سيئاتهم عن الجنّة وخلفت بهم حسناتهم عن النار، قال فوقفوا هناك على السور حتى يقضي الله فيهم[8]. كما رواه الحاكم في

---

(1) كما في تقريب التهذيب لابن حجر ص ٢٩٠. وانظر: تهذيب الكمال للمزي ج١٤ ص ١٤٥.

(2) انظر: تهذيب الكمال للمزي ج ٢٩ ص ١٧٦.

(3) كما في تقريب التهذيب لابن حجر ص ٥٠٦ .

(4) انظر: الدر المنثور للسيوطي ج٨ ص ٤٦٣ .

(5) تفسير ابن كثير : ج٢ ص٢٩١ .

(6) المرجع السابق : ج٢ ص ٢٩١ .

(7) المرجع السابق : ج٢ ص٢٩١ .

(8) تفسير الطبري: ج٨ ص ١٣٧.

مستدركه بسنده عنه رضي الله عنه قال: أصحاب الأعراف قوم تجاوزت بهم حسناتهم النار وقصرت بهم سيئاتهم عن الجنة فإذا صرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين، فبينما هم كذلك إذا طلع عليهم ربّك قال قوموا ادخلوا الجنّة فإني قد غفرت لكم ". ثم قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه[1].

وأمّا الأثر عن ابن عبّاس رضي الله عنهما فقد أخرجه الطبري بسنده بطرق متعددة منها ما رواه عن قتادة قال قال ابن عباس رضي الله عنهما : أصحاب الأعراف قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم فلم تزد حسناتهم على سيئاتهم ولا سيئاتهم على حسناتهم[2].

وأمّا عن ابن مسعود رضي الله عنه فقد رواه أيضاً الطبري في تفسيره بسنده إلى سعيد بن جبير وهو يحدّث عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: يحاسب الناس يوم القيامة فمن كانت حسناته أكثر من سيئاته بواحدة دخل الجنة، ومن كانت سيئاته أكثر من حسناته بواحدة دخل النار، ثم قرأ قول الله تعالى ﴿ فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون.و من خفّت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم ﴾ ثم قال: إنّ الميزان يخفّ بمثقال حبة ويرجح، قال: فمن استوت حسناته وسيئاته كان من أصحاب الأعراف ... إلخ [3].

أقول : ولا ريب أنّ هذه الآثار المتعدّدة الموقوفة على الصحابة رضي الله عنهم لها حكم الرفع إلى النبي صلى الله عليه وسلم ؛ حيث إنّها في أمر غيبي لا يحتمل أن يذكره الصحابة رضي الله عنهم من عند أنفسهم إلا بخبر منه صلى الله عليه وسلم .

ثم إن قوله تعالى عنهم ﴿ لم يدخلوها وهم يطمعون ﴾ فيه دلالة كافية على أنّ رجال الأعراف هم كذلك كما أشارت إليه الروايات السابقة. ويضاف إلى هذه الجملة الكريمة قول أصحاب الأعراف بعدها حين رأوا حال أهل النار من العذاب ﴿ ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين ﴾ . ولهذا فإنّ صاحب تفسير المنار قال هاهنا: " والإنصاف أنّ هذا الدعاء

(١) المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري: ج٢ ص٣٢٠.

(٢) تفسير الطبري : ج٨ ص١٣٨.

(٣) المرجع السابق : ج٨ ص١٣٧ .

أليق بحال من استوت حسناتهم وسيئاتهم، وكانوا موقوفين مجهولاً مصيرهم . فهذا أوضح بيان مفصّل للقول الذي اعتمده الجمهور، وللأثرين الموقوفين فيه قوّة الحديث المرفوع "[1]. وله كلام جيّد – أيضاً– في وجه صحّة حقيقة أصحاب الأعراف بهذا القول ورجحانه إضافة إلى ما ذُكِر، وذلك أنّه قال إنّهم " يوقفون على الأعراف طائفة من الزمن يظهر فيها عدل الله تعالى بعدم مساواتهم بأصحاب الحسنات الراجحة بدخول الجنّة معهم ولا بأصحاب السيئات الراجحة بدخول النار معهم ، ولو بقوا في هذه المنزلة بين المنزلتين لكان عدلاً . ولكن ورد أنّه تعالى يعاملهم بعد هذا العدل بالفضل ويدخلهم الجنّة. ولابدّ أن يكون ذلك قبل إخراج من يعذّبون في النار من المؤمنين الذين رجحت سيئاتهم على حسناتهم ، والدليل على عدم بقاء أحد في منزلة بين الجنة والنار ما ورد من الآيات الكثيرة في القسمة الثنائية ﴿ فَرِيقٌ فِي ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي ٱلسَّعِيرِ ﴾ "[2] ثم ذكر أنّه قد يكون من المرجحات لهذا ـ أيضاً – وضع هذه الآيات بين نداء أهل الجنة أهل النار ونداء أهل النار أهل الجنة ...[3]

وأختم الكلام عن حقيقتهم والتعريف بهم بقول الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله تعالى حيث يقول : " والصحيح من ذلك أنهم قوم تساوت حسناتهم وسيئاتهم ، فلا رجحت سيئاتهم فدخلوا النار، ولا رجحت حسناتهم فدخلوا الجنة، فصاروا في الأعراف ما شاء الله ، ثم إن الله تعالى يدخلهم برحمته الجنة؛ فإنّ رحمته تسبق وتغلب غضبه، ورحمته وسعت كلّ شيء "[4]

هذا وبما ذكرته من التمهيد التعريفي بالأعراف ورجالها يحسن الدخول إلى بيان مشهد الحوار. والله أسأل العون والسداد .

* * *

(١) تفسير المنار لمحمد رشيد رضا : ج٨ ص ٤٣٤ – ٤٣٥ .

(٢) سورة الشورى : الآية (٧) .

(٣) تفسير المنار : ج٨ ص ٤٣٧ – ٤٣٨ .

(٤) تفسير السعدي : ج٣ ص ٣٤ .

الفصل الأوّل : نداء أصحاب الجنّة أصحاب النّار :

المبحث الأول: مناسبة مجيء مشهد الحوار في موضعه من السورة :

يجيء مشهد الحوار بين أصحاب كلٍّ من الجنّة والنار والأعراف في خاتمة فقرة من فقرات هذه السورة الكريمة (سورة الأعراف) التي تعالج موضوع العقيدة في الله تعالى والتوجّه بالعبادة إليه وحده دون سواه، تلكم الفقرات التي يخاطب الله تعالى فيها بني آدم تعقيباً على قصّة النشأة الأولى التي ذكرها سبحانه بداية السورة وذكر فيها خروج آدم – عليه السلام – من الجنّة بإغواء إبليس له ولزوجه، ومن ثمّ تحذيرهم أن يفتنهم الشيطان كما أخرج أبويهم من الجنة ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ .. ﴾ الآية[1]، ثمّ يأتي النداء الآخر الذي يبيّن لهم فيه تعالى الجهة التي يتلقّون منها شعائر دينهم وشرائعه التي تحكم حياتهم وتوجّهها إلى ما تحقّق رضا ربهم سبحانه، وهي جهة الرسل المبلّغين عن الله حيث يقول تعالى : ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأۡتِيَنَّكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصۡلَحَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ۝٣٥ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسۡتَكۡبَرُواْ عَنۡهَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [2]، فعلى قدر الاستجابة لهم أو عدمها يكون الحساب والجزاء في نهاية الرّحلة التي يعرضها السياق القرآني في هذه الفقرة من السورة،فيذكر الله تعالى مشهد الاحتضار والموت للمكذّبين المستكبرين، وهو أوّل مراحل الآخرة والحساب ﴿.. حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوۡنَهُمۡ قَالُوٓاْ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالُواْ ضَلُّواْ عَنَّا وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَنَّهُمۡ كَانُواْ كَٰفِرِينَ ﴾ [3]، ثمّ يذكر تعالى بعدها مرحلة أخرى في مصير المكذبين ـ أيضاً ـ وهي دخولهم النار ﴿ قَالَ ٱدۡخُلُواْ فِيٓ أُمَمٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُم مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ فِي ٱلنَّارِ .. ﴾ الآية[4]، ويصف حالهم فيها بشيء من التفصيل الذي يصاحبه الوعيد والإنذار، وفي مقابل هذا يعرض القرآن الكريم في هذا السياق مصير المؤمنين المصدّقين في دخولهم الجنّة ويذكر حالهم فيها ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَا نُكَلِّفُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَآ

---

(١)سورة الأعراف: الآية (٢٧).

(٢)سورة الأعراف: الآيتان (٣٥-٣٦)

(٣) سورة الأعراف : الآية (٣٧).

(٤) سورة الأعراف: الآية (٣٨).

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝٤٢ وَنَزَعۡنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنۡ غِلّٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهۡتَدِيَ لَوۡلَآ أَنۡ هَدَىٰنَا ٱللَّهُۖ لَقَدۡ جَآءَتۡ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلۡحَقِّۖ وَنُودُوٓاْ أَن تِلۡكُمُ ٱلۡجَنَّةُ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴾ [1]، وكأنّما هذا العرض القرآني يجيء مصداقاً لما ينبئ به أولئك الرسل -عليهم السلام- فإذا الذين أطاعوا الشيطان قد حرموا العودة إلى الجنّة وفتنوا عنها كما أخرج الشيطان أبويهم منها، وإذا الذين خالفوا الشيطان ولم يتبعوه وأطاعوا الله تعالى قد ردّوا إلى الجنة فعاد المغتربون إلى دارهم دار النعيم.. وحينما ذكر الله تعالى مآل كلّ فريق؛ فالمؤمنون في الجنّة والكافرون المكذبون في النار وشرح حال كلٍّ منهما فيما استقرّ فيه من الثواب أو العقاب؛ حين ذلك بدأ النصّ القرآني في ذكر مشهد الحوار الذي جرى بين أصحاب كلٍّ من الجنّة والنّار و الأعراف، وفي هذه المناسبة قال الشيخ عبد الرحمن السعدي: " يقول تعالى بعد ما ذكر استقرار كلٍّ من الفريقين في الدارين ووجدا ما أخبرت به الرسل ونطقت به الكتب من الثواب والعقاب أنّ أهل الجنة نادوا أصحاب النار[2]". وبمثله قال النيسابوري في غرائب القرآن: " ولمّا شرح وعيد الكفار وثواب الأبرار أتبعه المناظرات التي تدور بين الفريقين" [3].

- وأمّا في شأن عطف الواو في قوله تعالى ﴿ ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار أن قد وجدنا ما وعدنا ربّنا حقاً فهل وجدتم ما وعد ربّكم حقاً ﴾ فقد فصّل فيها ابن عاشور حيث قال: " وجملة ﴿ ونادى أصحاب الجنة ...﴾ يجوز أن تكون معطوفة على جملة ﴿ وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا ...﴾ عطف القول على القول؛ إذ حكي قولهم المنبئ عن بهجتهم بما هم فيه من النعيم، ثمّ حكي ما يقولونه لأهل النّار حينما يشاهدونهم. ويجوز أن تكون معطوفة على جملة ﴿ ونودوا أن تلكم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون ﴾ عطف القصّة على القصّة بمناسبة الانتقال من ذكر نداء من قِبل الله إلى ذكر مناداة أهل

---

(1) سورة الأعراف: الآيتان (٤٢-٤٣).

(2) تفسير السعدي: ج٣ ص٣١. وانظر فيما ذكر من قبل: نظم الدرر للبقاعي ج٣ ص٣٥؛ التفسير الكبير للفخر الرازي ج١٤ ص٨٣؛ تفسير الآلوسي ج٨ ص١٢٦؛ غرائب القرآن للنيسابوري ج٨ ص١٦٨؛ تفسير المنار ج٨ ص٤٠٤.

(3) غرائب القرآن للنيسابوري: ج٨ ص١٦٨.

الآخرة بعضهم بعضاً"[1].

– وبما ذكرته يتضح وجه المناسبة لمجئ مشهد الحوار في موضعه من السورة الكريمة وصلة آيات الحوار بما قبلها، ولله الحمد والمنّة.

المبحث الثاني: موضوع النداء وغايته وجواب أصحاب النّار عنه:

يبدأ مشهد الحوار بنداء أصحاب الجنّة أصحاب النّار بعد أن استقرّ كلّ منهما في داره وتمكّن من قراره، وكأنّي بأهل الجنّة يتنعّمون فيها، وكأنّي بأهل النار يذوقون حرّها ولهيبها .. ويذكّر الله تعالى ذلك النداء وما تبعه في آيتين كريمتين بقوله سبحانه ﴿ وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدۡ وَجَدۡنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقّٗا فَهَلۡ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمۡ حَقّٗاۖ قَالُواْ نَعَمۡۚ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنُۢ بَيۡنَهُمۡ أَن لَّعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبۡغُونَهَا عِوَجٗا وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ كَٰفِرُونَ ﴾ [2].

والذي يُلاحظ في الآيات الكريمة أنّ الله تعالى قدّم نداء أصحاب الجنّة على نداء أصحاب النار، وفي ذلك دلالةٌ على تكريم الله لهم ورفعته لشأنهم وتشريفهم.

وإنّما جاء التعبير عن خطابهم بالنداء إشارة إلى بلوغه أسماع أصحاب النّار من مسافة سحيقة البُعد. فإنّ سعة الجنّة وسعة النّار تقتضيان ذلك؛ لاسيما مع قوله من بعد ﴿ وبينهما حجاب ﴾. أمّا وسيلة بلوغ هذا النداء فلا ريب أنّها وسيلة عجيبة غير مُدْرَكة ولامُتَعَارَفَة، وعِلْم الله وقدرته لاحدّ لمتعلّقاتهما[3]؛ وإنّما أخبر الله بذلك وهو كائن لا محالة، فهو سبحانه القادر على كلّ شيء والقاهر لكلِّ شيء في ذلك اليوم العظيم الذي لاتبلغه أفهامنا ولا تقديراتنا البشرية المحدودة.

– وقد تضمّن هذا النداء أمرين اثنين: (أوّلهما) إخبار أصحاب الجنة أصحاب النّار عن حال ما هم فيه من السعادة وبلوغ ثواب الله وكرامته ونعيمه فيما وعدهم به.

و (ثانيهما) استفهامهم عن حال أصحاب النار فيما هم فيه من العذاب؛ هل وجدوا ما وعد ربّهم حقاً وصدقاً. وذلك هو قوله سبحانه ﴿ ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً فهل وجدتم ما وعد ربّكم حقاً ﴾ ؟!

---

(١) التحرير والتنوير: ج٩ ص ١٣٥– ١٣٦.

(٢) سورة الأعراف: الآيتان (٤٤–٤٥).

(٣) انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور ج٨ ص١٣٦.

- هذا وليس الغرض والقصد من نداء أصحاب الجنة هو مجرد الإخبار عن حالهم أو مجرد الاستفهام والاستخبار عن حال أصحاب النار؛ فإنّهم بلا ريب موقنون واثقون من تحقّق وعيد الله للكفرة كما هم موقنون من تحقّق وعده لهم؛ ولكنّما المقصود والغاية ما يتحقّق ويلزم من ذلك، ولهذا **أقول:** إنّ إخبارهم لأصحاب النّار عن حالهم بقولهم ﴿ أن قد وجدنا ما وعدنا ربّنا حقاً ﴾ يُراد منه الاغتباط والافتخار وإظهار الفرح والسرور بما هم فيه من النعيم ، مع التنغيص على أصحاب النّار بعلمهم برفاهية حالهم؛ والزيادة في كربهم أن شرفوا عليهم ، ومن ثمّ التقرير لهم بصدق ما بلّغوهم من وعد الله تعالى لمن آمن وأصلح بالجنّة ونعيمها؛ وأنّهم كانوا على حقّ في الدنيا وهم يحسبونهم قد ضلّوا. وأمّا استفهامهم وسؤالهم لهم بقولهم ﴿ فهل وجدتم ما وعد ربكم حقاً ﴾ فيراد منه التهكّم والشماتة بهم والتقريع لهم وتوبيخهم وتبكيتهم ، مع توقيفهم على غلطهم وتفريطهم، والتذكير لهم بما كان من جنايتهم على أنفسهم بتكذيب رسلهم ممّا يثير ندامتهم وغمّهم ويوقع الحسرة في قلوبهم [1].

- ولذلك فقد أورد ابن كثير آيات ذكرها الله تعالى في مثل هذا المقصد، وفيما يشابه هذه الحال حيث قال : " كما أخبر الله تعالى في سورة الصافّات عن الذي كان له قرين من الكفار ﴿ فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِى سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ۝ قَالَ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ۝ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ۝ أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ۝ إِلَّا مَوْتَتَنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴾ [2] ، أي ينكر عليه مقالته التي يقولها في الدنيا ويقرّعه بما صار إليه من العذاب والنّكال ، وكذلك تقرّعهم الملائكة يقولون لهم: ﴿ هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ۝ أَفَسِحْرٌ هَٰذَآ أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ۝ ٱصْلَوْهَا فَٱصْبِرُوٓاْ أَوْ لَا تَصْبِرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ ۖ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [3]" [4].

---

(١) انظر: الكشاف للزمخشري: ج٢ ص٦٤ ، تفسير الثعالبي ج٢ص٢٠، تفسير ابن كثير ج٢ ص٢٨٩، البحر المحيط لأبي حيان ج٤ ص٣٠٠، تفسير القرطبي ج٧ ص٢١٠، زاد المسير لابن الجوزي ج٣ ص٢٠٣، تفسير أبي السعود ج٣ ص٢٢٩، محاسن التأويل للقاسمي ج٧ ص٨٧، حاشية الجمل على الجلالين ج١ ص١٤٤، تفسير البيضاوي ج٣ ص١٠، تفسير الألوسي ج٨ ص١٢٢، فتح القدير للشوكاني ج٢ ص٢١٥، تفسير المنار ج٨ ص٤٢٤، التحرير والتنوير ج٨ ص١٣٦.

(٢) سورة الصافات : الآيات من (٥٥) إلى (٥٩).

(٣) سورة الطور : الآيات من (١٤) إلى (١٦) .

(٤) تفسير ابن كثير : ج٢ ص٢٩٠ .

كما أورد رحمه الله تعالى حديثاً عن الرسول صلى الله عليه وسلم فيما يشابه هذا النداء لأصحاب النّار في تقريعه صلى الله عليه وسلم لأهل ا القليب[1] قتلى بدر من المشركين، وهو مناسب في مكانه هذا من الاستشهاد به في باب ذكر المقصد والغاية من النداء في التقريع والتوبيخ، ذلك أنّ الإمام البخاريّ روى في صحيحه عن قتادة قال: " ذكر لنا أنس بن مالك عن أبي طلحة أنّ نبيّ الله صلى الله عليه وسلم أمر يوم بدر بأربعة وعشرين رجلاً من صناديد قريش فقذفوا في طويٍّ (بئر) من أطواء بدر خبيث مخبِث ، وكان إذا ظهر على قوم أقام بالعرْصة[2] ثلاث ليال، فلمّا كان ببدر اليوم الثالث أمر براحلته فشُدَّ عليها رحلُها ، ثمّ مشى واتبعه أصحابه وقالوا:ما نرى ينطلق إلا لبعض حاجته، حتى قام على شَفَةِ الرَّكيّ[3]، فجعل يناديهم بأسمائهم وأسماء آبائهم : يا فلان بن فلان، ويا فلان بن فلان ، أيسرّكم أنّكم أطعتم الله ورسوله؟ فإنّا قد وجدنا ما وعدنا ربّنا حقاً، فهل وجدتم ما وعد ربكم حقاً؟ قال عمر: يا رسول الله، ما تُكلّمُ من أجساد لا أرواح لها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : والذي نفس محمد بيده، ما أنتم بأسمع لما أقول منهم " [4]. قال قتادة : أحياهم الله حتى أسمعهم قوله، توبيخاً وتصغيراً ونقيمة وحسرة وندماً [5]. والشاهد هنا قوله صلى الله عليه وسلم بنفس نصّ الآية الكريمة في نداء أصحاب الجنة أصحاب النار، وما رواه البخاري بعدُ من كلام قتادة يبيّن فيه غاية ومقصد مخاطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم قتلى بدر من المشركين بهذا النصّ .

---

(١) القليب هي البئر قبل أن تطوى، والمراد بالقليب هنا أي قليب بدر أي الحفرة التي رميت فيها جثث كفار قريش المقتولين ببدر (انظر : مختار الصحاح للرازي ص ٥٤٧).

(٢)العَرْصة كلّ بقعة بين الدور واسعة ليس فيها بناء. (لسان العرب لابن منظور ج٧ ص٥٢ ؛ مختار الصحاح للرازي ص٤٢٤).

(٣)شَفَةَ الرَّكي : أي طرف البئر والرَّكّي بفتح الراء وكسر الكاف وتشديد آخره البئر قبل أن تطوى، والأطواء جمع طويّ وهي البئر التي طويت وبنيت بالحجارة لتثبت ولا تنهار. قال ابن حجر: ويجمع بين الروايتين بأنّها كانت مطويّة فاستهدمت فصارت كالرَّكيّ. (انظر: فتح الباري ج٧ ص٣٠٢).

(٤) رواه البخاري في صحيحه : كتاب المغازي، (٨) باب قتل أبي جهل، حديث (٣٩٧٦)، فتح الباري ج٧ ص٣٠٠، وللحديث ألفاظ أخرى مشابهة بنفس الكتاب، وفي كتاب الجنائز أيضاً (٨٦) باب ما جاء في عذاب القبر، حديث (١٣٧٠) فتح الباري ج٣ ص٢٣٢.

(٥) هذا الكلام لقتادة ذكره البخاري في صحيحه بعد إيراده نصّ الحديث مباشرة، وهو موصول بالإسناد المذكور في روايته عن أنس رضي الله عنه. انظر : (فتح الباري ج٧ ص٣٠٢).

- ثمّ يجيء الجواب فوراً من أصحاب النار دون تلكّؤ أو تردّد أو تكذيب، حيث قالوا : نعم ، فقد وجدوا ما وعد الله حقّاً وصدقاً وعاينوا العذاب والعقاب، فاعترفوا وصدّقوا في وقت لا ينفع فيه الاعتراف ولا التصديق، وأقرّوا على أنفسهم باستحقاقهم ما هم فيه، إذ لا مجال هنا للتكذيب ولا الاستكبار، وقد تبيّن الحقّ في هذا اليوم للخلق كلّهم بياناً لاشك فيه ولا ريب، وأنّ الله تعالى لايخلف وعده ، كيف وقد صار الأمر حقّ اليقين[1].

- وبعد هذه الإجابة يتوقّف الحوار بين الفريقين بذكر تدخّل ملك من الملائكة ليؤذّن بينهم ﴿ فأذّن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين ﴾ ، وهو ما سيكون الحديث عنه في المبحث القادم .

فوائد ولطائف:

الأولى : جاء التعبير بالماضي عن المستقبل في قوله تعالى ﴿ ونادى أصحاب الجنة..﴾ لأنّ المستقبل الذي يخبر الله تعالى عنه ههنا وهو ما يكون في دار الجزاء كالماضي من حيث تحقّق وقوعه، وهذا الأسلوب القرآني أسلوب معهود في الأساليب العربية البليغة، وأشهر نكته جعل المستقبل في تحقّق وقوعه كالذي وقع بالفعل [2].

الثانية: أورد الخازن سؤالاً قد يخطر على بال أحد ما ، ثم أجاب عنه، ومن الجدير ذكره هاهنا مع إجابته، ذلك أنّه قال: " فإن قلت هذا النداء من كلّ أهل الجنّة لكلّ أهل النّار أو من البعض للبعض؟ قلت: ظاهر قوله ﴿ ونادى أصحاب الجنّة أصحاب النار ﴾ يفيد العموم ، والجمع إذا قابل الجمع يوزّع الفرد على الفرد، فكلّ فريق من أهل الجنّة ينادي من كان يعرفه من الكفار في دار الدنيا"[3].

الثالثة : نبّه ابن عاشور تنبيهاً لطيفاً على كلمة (وجدنا) الصادرة من أصحاب الجنة بقولهم ﴿ أن قد وجدنا ما وعدنا ربّنا حقّاً ﴾، وحاصل قوله أنّه لا تدل هذه الكلمة على سبْق بحث منهم وتطلّب للمطابقة فيما علموه،بل إن المعنى أنّهم ألْفَوا ما لقوا حال كونه حقّاً لا تخلّف في شيء منه، ذلك أنّ الوجدان في أصل اللغة هو إلفاء الشيء

---

(١) انظر: غرائب القرآن للنيسابوري ج٨ ص١١٩، تفسير أبي السعود ج٣ ص٢٢٩، تفسير السعدي ج٣ ص٣١ .

(٢) انظر: البحر المحيط لأبي حيان ج٤ ص٣٠٠،غرائب القرآن للنيسابوري ج٨ ص١١٨، تفسير الآلوسي ج٨ ص١٢٢، تفسير المنار ج٨ ص٤٢٤ .

(٣) تفسير الخازن : ج٢ ص٢٣١ .

ولقيّه[1]. وهذا بلا ريب مطابق لحال أصحاب الجنّة إذ هم قد آمنوا بما صاروا إليه من النعيم قبل أن يلقوه .

الرابعة: إنّ في التعبير بالموصولية في قوله تعالى ﴿ ما وعدنا ربنا حقاً ﴾، ﴿ما وعد ربكم حقاً ﴾ إيجازاً بديعاً، ذلك أنّ (ما) الموصولة هاهنا دلّت على أن الصلة معلومة عند المخاطبين على تفاوت في الإجمال والتفصيل؛ فقد كانوا يعلمون أنّ الرسول صلى الله عليه وسلم وعد المؤمنين بنعيم عظيم وتوعّد الكافرين بعذاب أليم سمع بعضهم تفاصيل ذلك كلّها أو بعضها وسمع بعضهم إجمالها مباشرة أو بالتناقل بينهم [2].

الخامسة : ممّا يلاحظ في الآية أنّه لم يُؤتَ بالمفعول من الفعل الثاني في قوله ﴿ أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً فهل وجدتم ما وعد ربّكم حقاً ﴾، إذ لم يقل سبحانه : فهل وجدتم ما وعدكم ربكم ، وذلك إسقاطاً لأصحاب النّار عن رتبة التشريف بالخطاب عند الوعد، لأنّ كونهم مخاطبون يوجب مزيد التشريف،ومزيد التشريف لايليق إلا بالمؤمنين[3]. وفي هذا قال صاحب نظم الدرر : " أثبت المفعول الأوّل تلذيذاً وحذفه هنا (أي في الثاني) احتقاراً للمخاطبين"[4].

السادسة: اختلف القرّاء في قراءة كلمة (نعم) حيث وردت في القرآن الكريم، وقد وردت في أربعة مواضع؛ في موضعين بهذه السورة، أوّلهما في هذا الموضع هاهنا، وثانيهما في قوله تعالى ﴿ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴾ [5]، أمّا الموضع الثالث في القرآن فهو في سورة الشعراء بقوله تعالى ﴿ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذاً لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴾ [6]، والموضع الرابع في سورة الصافات بقوله تعالى ﴿ قُلْ نَعَمْ وَأَنتُمْ دَاخِرُونَ ﴾ [7]، وذلك أنّه قرأ الكسائي بكسر

---

(1) انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور ج٨ ص١٣٦-١٣٧ .

(2) انظر: المرجع السابق ج٨ ص١٣٧ .

(3)انظر: التفسير الكبير للفخر الرازي ج١٤ ص٨٤ ، نظم الدرر للبقاعي ج٣ ص٣٥، تفسير أبي السعود ج٣ ص٢٢٩، غرائب القرآن للنيسابوري ج٨ ص١١٩، فتح القدير للشوكاني ج٢ ص٢١٥، تفسير المنار ج٨ ص٤٢٥ – ٤٢٦ .

(4) نظم الدرر للبقاعي: ج٣ ص٣٥ .

(5) سورة الأعراف: الآية (١١٤).

(6) سورة الشعراء : الآية (٤٢).

(7) سورة الصافات : الآية (١٨)

العين (نعِم) في كلّ القرآن ، وقرأ الباقون بفتحها فيها كلّها كذلك، وهما لغتان [1].

المبحث الثالث: الإعلام بلعن أصحاب النار وذِكر أوصافهم :

– وبعد إجابة أصحاب النار عن سؤال أهل الجنة يخبر الحقّ سبحانه عن توقّف هذا الحوار بإعلام مُعلم من الملائكة المكلّفين بأمر الله تعالى في ذلك اليوم العظيم بإيجاب لعنته على أصحاب النار واستحقاقهم لها وذلك قوله سبحانه ﴿ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌۢ بَيۡنَهُمۡ أَن لَّعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ۝ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبۡغُونَهَا عِوَجٗا وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ كَٰفِرُونَ ﴾ [2] أي حقّ عليهم طرده وإبعاده لهم من رحمته وعفوه. هذا وإنّ الإتيان بفاء التعقيب في قوله (فأذّن) دالٌ على أنّ هذا الإعلام مسبّب على المحاورة تحقيقاً لمقصد أهل الجنة من كلامهم لأهل النار وسؤالهم من إقامة الحجّة عليهم بإظهار غلطهم وفساد معتقدهم، وتأييساً لهم وزيادة في ندامتهم وحزنهم وحسرتهم ، مع الزيادة في سرور وسعادة أصحاب الجنّة وتكريمهم والثناء على حالهم في الإيمان بالله وتصديق رسله[3]. هذا ويجوز أن يشمل هذا الأذان الدعاء على أصحاب النّار بزيادة البعد عن الرحمة بتضعيف العذاب أو تحقيق الخلود[4].

– وبعد فلم يقتصر هذا الأذان على إثبات اللعنة وإيجابها على أصحاب النار فقط، بل شمل كذلك إثبات أربعة أوصاف لهم تمثّل سبب استحقاقهم اللعنة من الله تعالى، وترتّب عليها ما صاروا إليه من العذاب والنّكال في الآخرة ، وذلك في تصوير جامع لحالهم التي كانوا عليها في الدّنيا، ليتذكّروها هم أنفسهم ، ويعلمها كلّ من سمع التأذين والإعلام بها ؛ فيوقن بفظاعة حالهم وخبث نفوسهم وفساد معتقدهم وعملهم، وليُعلم بذلك – أيضاً – عدل الله تعالى بعقابهم عليها، وليعتبر بها – كذلك –

---

(١) انظر: النشر في القراءات العشر لابن الجزري ج٢ ص٢٦٩ ؛ الكشف عن وجوه القراءات السبع لمكي بن أبي طالب القيسي ج١ ص٤٦٢؛ تفسير البغوي ج٢ ص١٦٢؛ زاد المسير لابن الجوزي ج٣ ص٢٠٣؛ تفسير أبي السعود ج٣ ص٢٢٩.

(٢) سورة الأعراف : الآيتان (٤٤ – ٤٥).

(٣) انظر: تفسير ابن كثير ج٢ ص٢٩٠؛ تفسير القرطبي ج٧ ص٢١٠؛ تفسير الثعالبي ج٢ص٢٠؛ تفسير الخازن ج٢ ص٢٣٢؛ تفسير الآلوسي ج٨ ص١٢٣؛ محاسن التأويل للقاسمي ج٧ ص٨٧؛ تفسير المنار ج٨ ص٤٢٦؛ تفسير السعدي ج٣ص٣١؛ التحرير والتنوير لابن عاشور ج٨ ص١٣٧.

(٤) انظر: التحرير والتنوير ج٨ ص١٣٨ .

من هم في هذه الدنيا بتصوّر حالهم التي وصفها سبحانه في كتابه الكريم فيجتنبوا الاتصاف بها ويبتعدوا عن كلّ ما يؤدّي إليها من الأوصاف والخصال الذميمة[1].

- وأوّل تلك الأوصاف ، والذي تعلّقت به اللعنة أوّل ما تعلّقت، وعليه بُنيت سائر الأوصاف الأخرى المقرّرة والمؤكّدة له؛ هو وصف الظلم ﴿ أن لعنة الله على الظالمين﴾، وكأنّ هذا الوصف لهم هو بمثابة التعريف بهم، فيجري مجرى اللقب تُعرف به جماعتهم، ولا ريب أنّه يراد بوصفهم هذا أوّل ما يراد إثبات كفرهم وشركهم بالله تعالى؛ إذ هو أعظم الظلم و أكمله؛ لأنّ الظلم إذا ذكر مطلقاً فإنّه يصرف إلى الكمال فيه، وكمال الظلم هو الشرك بالله، ويدلّ على هذا قوله تعالى :﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾[2]، فهم قد ظلموا أنفسهم في إبعادها عن رحمة الله تعالى بشركهم وكفرهم به وفي ولايتهم للطاغوت يخرجونهم من نور الهداية إلى ظلمات الضلالة[3].

- وثاني الأوصاف : ﴿ الذين يصدّون عن سبيل الله﴾، وهذا الوصف يجمع بين إعراضهم وامتناعهم هم أنفسهم عن سبيل الله؛ وبين صدّ غيرهم عنه؛ وذلك لأنّ (صَدَّ – يَصُدُّ) يجيء لازماً بمعنى يُعرِض ويمتنع عن الشيء، ومتعدّياً بمعنى يصدّ غيره ويصرفه عنه،فعليه فإنّ الإيجاز في هذا الوصف يقتضي الجمع بينهما، فهم يعرضون عن سبيل الله تعالى الموصلة إلى مرضاته وكرامته وثوابه، وفي ذات الوقت يضلّون النّاس ويصدّونهم ويمنعونهم عن اتباع دين الله تعالى من آمن منهم أو أراد الإيمان؛ بكلّ ما يستطيعونه من وسائل المنع والصدّ كالأذى والتخويف والإرهاب والزجر والقهر والإرغاب وإدخال الشبه في دلائله وأحكامه وبالمكر والخداع وسائر الحيل[4].

وثالث الأوصاف : ﴿ يبغونها عوجاً ﴾ وهذه الصفة وثيقة الصِّلة بسابقتها من الصدّ عن

---

(1) انظر: نظم الدرر للبقاعي ج٣ ص٣٦ ؛ تفسير المنار ج٨ ص٤٣٠ ؛ التحرير والتنوير ج٨ ص١٣٨.

(2) سورة لقمان : الآية (١٣).

(3) انظر: تفسير الخازن ج٢ ص٢٣٢؛ تفسير السعدي ج٣ ص٣١؛ التحرير والتنوير ج٨ ص١٣٨.

(4) انظر: تفسير ابن كثير ج٢ ص٢٩٠؛ تفسير القرطبي ج٧ ص٢١٠؛ نظم الدرر للبقاعي ج٣ ص٣٦؛ التفسير الكبير للفخر الرازي ج١٤ ص٨٦؛ تفسير الآلوسي ج٨ ص١٢٣؛ فتح القدير للشوكاني ج٢ ص٢١٥؛ تفسير المهايمي ج١ص٢٥٢؛ محاسن التأويل للقاسمي ج٧ ص٨٧؛ تفسير المنار ج٨ ص٤٣٠؛ التحرير والتنوير لابن عاشور ج٨ ص١٣٩.

سبيل الله؛ إذ إنّها تشير إلى حقيقة ما يريدونه تجاه سبيل الله تعالى ودينه الحقّ المستقيم، حيث إنّهم يبغون ويطلبون لها زيغها وميلها واعوجاجها وانحرافها عن الحقّ وتغييرها وتبديلها إلى الباطل، وذلك بذمّها وإلقاء الشكوك والشبهات حولها في عقائدها وأحكامها وعباداتها وسائر تشريعاتها؛ حتى يجعلوا ذلك حجة لإعراضهم عنها فلا يؤمنوا بها، ويجعلوه –أيضاً– طريقاً إلى منع غيرهم من الإيمان أو دفع من آمن إلى الارتداد والرّجوع عن الدين[1].

– وخاتمة هذه الأوصاف، وهي التي أوجبت لهم ما تقدّم من صفات في انحرافهم عن صراط الله ودينه عقيدة وعبادة وشريعة وصدّهم النّاس عنه؛ وإقبالهم على شهوات أنفسهم المحرّمة وارتكابهم لفاحش القول والعمل، تلكم هي عدم إيمانهم بالبعث بعد موتهم ولقاء الله تعالى في الآخرة، وذلك قوله تعالى عنهم ﴿ وهم بالآخرة كافرون ﴾ فهم جاحدون مكذّبون بالآخرة، لا يرجون حساباً ولا عقاباً، ولايرجون ثواباً ولا جزاءاً[2].

وبهذا الأذان والإعلام في هذا الموقف العظيم يختم الفصل الأول من مشهد الحوار، ولله الأمر من قبل ومن بعد.

فوائد ولطائف :

الأولى : يلاحظ أنّ المؤذّن جاء نكرة في قوله تعالى ﴿ فأذّن مؤذِّن﴾، وذلك لأنّ معرفته ليست مقصودة، بل المقصود الإعلام بما يقوله هنالك للتخويف منه ههنا في الدنيا، مع العلم بأنّه لم يرد في التعريف به شيء ثابت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو من أمور الغيب التي لا تُعلم إلا بالنقل الصحيح، ولكن المعهود في أمور عالم الغيب ولا سيما في الآخرة أن يتولى مثل ذلك فيها الملائكة، فالمؤذن ملك من الملائكة ولكن لا يُعلم من هو، ولو كان للعلم به فائدة لأخبر الله تعالى عنه[3].

الثانية: في قوله تعالى ﴿ أن لعنة الله على الظالمين ﴾ قرأ نافع وأبو عمرو وعاصم

---

(1) انظر: تفسير الطبري ج٨ ص١٣٦؛ تفسير البغوي ج٢ ص١٦٢؛ تفسير الثعالبي ج٢ ص٢٠؛ تفسير ابن كثير ج٢ ص٢٩٠؛ التفسير الكبير للفخر الرازي ج١٤ص٨٦؛زاد المسير لابن الجوزي ج٣ ص٢٠٣؛ تفسير أبي السعود ج٣ ص٢٢٩ ؛ حاشية الصاوي على الجلالين ج٢ ص٧٥؛ محاسن التأويل للقاسمي ج٧ ص٨٧؛ تفسير الآلوسي ج٨ ص١٢٣؛ تفسير المنار ج٨ ص٤٣٠.

(2) انظر: تفسير ابن كثير ج٢ ص٢٩٠؛ محاسن التأويل للقاسمي ج٧ ص٨٧ ؛ تفسير السعدي ج٣ ص٣٢ .

(3) انظر: تفسير المنار ج٨ ص ٤٢٦ .

وقنبل عن ابن كثير: (أن لعنة الله) أي بتخفيف نون (أن) الساكنة على أنّها تفسيرية لفعل (أذّن)، ورفع (لعنةُ) على الابتداء، فالجملة تفسيرية ، وقرأ الباقون بتشديد النون في (أنّ) وبنصب (لعنةَ) على أن الجملة مفعول (أذّن) لتضمّنه معنى القول، والتقدير : أذّن قائلاً أنّ لعنة الله على الظالمين. أو إجراء أذّن مجرى قال [1].

الثالثة : العدول عن صيغة الماضي إلى صيغة المضارع في وصف أصحاب النار بقوله تعالى ﴿ يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجاً﴾ للدلالة على تكرّر وتجدّد حصول هذين الفعلين منهم حال زمانهم الماضي، مع استحضار حالتهم السيئة في ذلك تشهيراً بهم وتفظيعاً لجرمهم [2].

الرابعة: الإخبار بالمصدر (عوجاً) عن السبيل للمبالغة، أي يرومون ويحاولون إظهار هذه السبيل عوجاء، أي يختلقون لها نقائص يموّهونها على النّاس تنفيراً لهم عن الإسلام [3].

الخامسة: العوج – كما هو معلوم – ضدّ الاستقامة، ولكن قد ذكر أهل اللّغة والتفسير فرقاً في الاستعمال بين العِوَج (بكسر العين) وبين (العَوَج) بفتح العين، فقالوا: إنّ العِوج (بكسر العين) يستعمل في المعاني كالدِّين والطريقة والمعاش، أي فيما يدرك بالفكر والبصيرة، ويستعمل أيضاً في الأعيان ما لم يكن منتصباً قائماً كالأرض ونحوها. أمّا العَوَج (بفتح العين) فإنّه يستعمل فيما يُدرك بالبصر في الأعيان ما كان قائماً منتصباً كالحائط والرمح ونحوهما. هذا مع العلم بأنّ في الأصل يجوز الفتح والكسر ولكنّ الاستعمال خصّصه وهو من محاسن الاستعمال [4].

---

(١) انظر: النشر في القراءات العشر لابن الجزري ج٢ ص٢٦٩؛ الكشف عن وجوه القراءات السبع لمكي ج١ ص٤٦٣–٤٦٤؛ حجة القراءات لابن زنجلة ص ٢٨٣؛ تفسير القرطبي ج٧ ص٢١٠؛ التفسير الكبير للفخر الرازي ج١٤ ص٨٦؛ تفسير أبي السعود ج٣ ص٢٢٩؛ تفسير الآلوسي ج٨ ص١٢٣؛ التحرير والتنوير لابن عاشور ج٨ ص١٣٨.

(٢) انظر: تفسير المنار ج٨ص٤٣٠؛ التحرير والتنوير ج٨ ص١٣٨ .

(٣) انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور ج٨ ص ١٤٠ .

(٤) انظر: تفسير الطبري ج٨ ص١٣٦؛ تفسير البغوي ج٢ ص١٦٢؛ لسان العرب لابن منظور ج٢ ص٣٣١–٣٣٢؛ المفردات للراغب الأصفهاني ص٣٥١؛ تفسير أبي السعود ج٣ ص٢٢٩؛ تفسير الآلوسي ج٨ ص١٢٣؛ فتح القدير للشوكاني ج٢ ص٢١٥؛ التحرير والتنوير ج٨ ص١٣٩.

السادسة : ورد وصف أصحاب النار بالكفر بالآخرة عن طريق الجملة الاسمية في قوله تعالى ﴿ وهم بالآخرة كافرون ﴾ مع أنّ السياق في الجملة الفعلية، وذلك للدلالة على ثبات الكفر فيهم وتمكّنه منهم، ولأنّ الكفر بالآخرة من الاعتقادات العقلية التي لا يناسبها التكرّر[1].

السابعة : قُدِّم الجار والمجرور على متعلّقه في قوله تعالى ﴿ وهم بالآخرة كافرون﴾ للاهتمام به، فإنّ أصل كفرهم قد عُلم ممّا قبله، وهذا النوع منه له تأثير خاص في إصرارهم على ما أُسند إليهم، هذا مع رعاية الفاصلة في خواتم الآيات[2].

الثامنة : يلاحظ أنّ الله تعالى قال ههنا :﴿ وهم بالآخرة كافرون ﴾ أمّا في سورة هود فقد قال ﴿ وَهُم بِٱلْأَخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴾ [3]، أي كرّر الضمير (هم) في آية سورة هود ولم يكرّره ههنا. وقد أجيب عن سبب ذكر (هم) في آية سورة هود وعدم ذكرها ههنا، بأنّ ما هنا جاء على الأصل . وتقديره : وهم كافرون بالآخرة. أمّا ما في سورة هود فقد وقع بعد قوله تعالى: ﴿ وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [4]، والقياس عليهم، فلمّا عبّر عنهم بالظالمين التبس أنّهم هم الذين كذبوا على ربّهم أم غيرهم، فقال:﴿ وهم بالآخرة هم كافرون﴾ ليُعلم أنّهم هم المذكورون لا غيرهم [5].

التاسعة : ذكر الثعالبي قصّة لطيفة مؤثرة ذات موعظة وعبرة يجدر بي أن أذكرها عسى أن ينتفع بها، وهي أنّه حكي عن غير واحد أنّ طاووس بن كيسان دخل على هشام بن عبد الملك فقال له: اتق الله واحذر يوم الأذان . فقال هشام: ما يوم الأذان؟ فقال قوله تعالى ﴿ فأذّن مؤذّن بينهم ..﴾ الآيات، فصعق هشام، فقال طاووس : هذا ذلّ

---

(١)انظر : تفسير الآلوسي ج٨ ص١٢٣؛ التحرير والتنوير ج٨ ص١٤٠.

(٢) انظر: فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن لأبي يحيى زكريا الأنصاري ص١٩٣؛ غرائب القرآن للنيسابوري ج٨ ص١١٩؛ تفسير الآلوسي ج٨ص ١٢٣؛ تفسير المنار ج٨ ص٤٣٠.

(٣) قال تعالى في سورة هود الآية (١٩) : (الذين يصدّون عن سبيل الله ويبغونها عوجاً وهم بالآخرة هم كافرون).

(٤) سورة هود : الآية (١٨).

(٥) انظر: فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن لأبي يحيى زكريا الأنصاري ص١٩٣، غرائب القرآن للنيسابوري ج٨ ص١١٩.

الوصف فكيف بذلّ المعاينة؟![1]

وبهذه القصّة أختم كلامي حول هذا الفصل الأوّل من مشهد الحوار، ولله الحمد والمنّة.

* * *

(١) انظر: تفسير الثعالبي ج ٢ ص٢٠.

الفصل الثاني : " نداء أصحاب الأعراف أصحابَ الجنّة :

تقديم :

هذا هو المقطع الثاني من مشهد الحوار ، وهو الذي يخبرنا الله تعالى فيه عن نداء أصحاب الأعراف أصحاب الجنة وما تخلّل هذا النّداء من ذِكر حال أصحاب الأعراف حين صرفت أبصارهم تجاه أصحاب النّار وتصوير انفعالهم حينذلك. وهذا هو ما جاء في قوله تعالى ﴿ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ ۚ وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَـٰهُمْ ۚ وَنَادَوْا۟ أَصْحَـٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَن سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمْ ۚ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ۝٤٦ ۞ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَـٰرُهُمْ تِلْقَآءَ أَصْحَـٰبِ ٱلنَّارِ قَالُوا۟ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ [1]. وعلى ما سبق ذكره فسيكون بيان هذا الفصل في مبحثين على ما يأتي:

المبحث الأول: نداءُ السّلام :

ها هم أولاء رجال الأعراف في أعالي وشرفات السُّور ينتظرون فضل الله ورحمته بإدخالهم الجنّة، وهم في موقفهم هذا يطّلعون على أصحاب الجنّة وأصحاب النّار يعرفون كلاًّ بعلاماتهم التي تميّز بها كلّ فريق ممّا أنبأهم الله تعالى به، ومن تلكم العلامات ما ذكره – عزّوجلّ– في كتابه الكريم، فأصحاب الجنّة أخبر الله عن سيماهم أنّ وجوههم بيضاء ناضرة مسفرة ضاحكة مستبشرة؛ وأصحاب النار وجوههم مسودّة باسرة عليها غبرة ترهقها قترة[2].

– هذا وبعد بيان معرفتهم للفريقين أصحاب الجنة وأصحاب النار بعلاماتهم المميّزة يخبر الحق سبحانه عن ندائهم لأهل الجنّة في نعيمهم بالسلام عليهم: (ونادوا أصحاب الجنّة أن سلام عليكم) ، و (أن) تفسيرية لهذا النداء، وهو قولهم (سلام عليكم) ، والسلام هاهنا محتمل لأمرين : (أحدهما) أنّه دعاء تحية وإكرام . (وثانيهما) أنّه إخبار وتبشير لهم بسلامتهم وأمنهم من العذاب والعقاب ونجاتهم من

---

(١) سورة الأعراف : الآيتان (٤٦–٤٧).

(٢) انظر: تفسير الطبري ج٨ ص١٤٠؛ تفسير ابن كثير ج٢ ص٢٩٢؛ معاني القرآن للفرّاء ج١ ص٣٨٠؛ البحر المحيط لأبي حيان ج٤ ص٣٠١؛ تفسير الثعالبي ج٢ ص٢١؛ تفسير القرطبي ج٧ ص٢١٣؛ زاد المسير لابن الجوزي ج٣ ص٢٠٦؛ غرائب القرآن للنيسابوري ج٨ ص١٢١؛ تفسير الخازن ج٢ ص٢٣٣؛ تفسير الآلوسي ج٨ ص١٢٤؛ تفسير المنار ج٨ ص٤٣١؛ أضواء البيان للشنقيطي ج٢ ص٣٠١.

المكاره والآفات[1].

أقول : ولا مانع من اجتماع هذين الأمرين، إذ إنّ التحية والإكرام تحمل في معناها وطيّاتها البشارة بالسلامة والأمن والنجاة.

-ولصاحب التحرير والتنوير كلام حسن فيما يدلّ عليه نداؤهم بالسلام لأصحاب الجنة إذ يقول: " ونداؤهم أهل الجنّة بالسلام يؤذن بأنّهم في اتصال بعيد من أهل الجنّة، فجعل الله ذلك أمارة لهم بحسن عاقبتهم ترتاح لها نفوسهم ويعلمون أنّهم صائرون إلى الجنة . فلذلك حكى الله حالهم هذه للناس إيذاناً بذلك "[2].

- وعند هذا السلام على أصحاب الجنة يقف الحوار ويُلفِت الحقّ سبحانه النظر إلى حال أصحاب الأعراف حين ندائهم هذا من الطمع والشّوق والرغبة في دخول الجنّة التي يخاطبون أهلها، فيخبر سبحانه على سبيل الاستئناف عن ذلك بقوله ﴿لم يدخلوها وهم يطمعون﴾، وكأنّه إجابة عن سؤال أثاره نداؤهم لأصحاب الجنة هل سيصيرون هم إلى الجنّة أم إلى غيرها؟ أو لربّما أشعر هذا السلام أنّه بعد دخول أصحاب الأعراف الجنّة، فكأنّه قيل: أكان نداؤهم بعد مفارقتهم الأعراف ودخولها أم لا؟ وعلى كلٍّ فإنّها جملة معترضة[3] ومستأنفة لبيان حالهم وقت النداء، أي نادوهم حال كونهم طامعين في دخولها مترقّبين له[4].

-ولاريب أنّ في إخباره تعالى عن طمع أصحاب الأعراف في الجنة ولفت النظر إلى حالهم هذه من الشوق والرغبة إشارة إلى فضل هذا الشعور وقدره القيّم عنده سبحانه، وأنّه عزّوجلّ ناظر إليهم برحمته وكرمه، ومن أجل هذا قال أبو العالية : ما جعل الله

---

(1) انظر: تفسير القرطبي ج٧ ص٢١٣، التفسير الكبير للفخر الرازي ج١٤ ص٩٠، نظم الدرر للبقاعي ج٣ ص٣٦، غرائب القرآن للنيسابوري ج٨ ص١٢٢، تفسير أبي السعود ج٣ ص٢٣٠، محاسن التأويل للقاسمي ج٧ ص٨٩، فتح القدير للشوكاني ج٢ ص٢١٦، تفسير الآلوسي ج٨ ص١٢٤، تفسير المنار ج٨ ص٤٣٣، تفسير السعدي ج٣ ص٣٢، التحرير والتنوير ج٨ ص١٤٣.

(2) التحرير والتنوير لابن عاشور : ج٨ ص١٤٣ .

(3) أي معترضة بين قوله تعالى (ونادوا أصحاب الجنة أن سلام عليكم) وبين قوله تعالى بعدها (وإذا صرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار قالوا ربنا لاتجعلنا مع القوم الظالمين).

(4) انظر: زاد المسير لابن الجوزي ج٣ص٢٠٦، نظم الدرر للبقاعي ج٣ص٣٦، غرائب القرآن للنيسابوري ج٨ ص١٢٢، محاسن التأويل للقاسمي ج٧ ص٨٩، تفسير أبي السعود ج٣ ص٢٣٠، تفسير الآلوسي ج٨ ص١٢٥، تفسير المنار ج٨ ص٤٣٤، تفسير السعدي ج٣ ص٣٣، التحرير والتنوير ج٨ ص١٤٣.

ذلك الطمع فيهم إلا لكرامة يريدهم بها. وبمثله قال الحسن البصري؛ إلاّ أنّه زاد فقال: الذي جعل الطمع في قلوبهم يوصلهم إلى ما يطمعون[1].

فوائد ولطائف:

الأولى: تقديم قوله تعالى (وبينهما) وهو خبر على المبتدأ (حجاب) للاهتمام بالمكان المتوسِّط بين الجنّة والنّار وما ذكر من شأنه وشأن أصحابه، وبهذا التقديم صحّ تصحيح الابتداء بالنكرة. وتنكيرها أي (حجاب) للتعظيم[2].

الثانية : لابن عاشور كلام جيّد في ترجيح عود ضمير (بينهما) إلى لفظي الجنّة والنّار ، بعد أن ذكر بعض المفسرين أنّه يعود إلى أصحاب الجنّة وأصحاب النّار، حيث قال رحمه الله تعالى : " وضمير (بينهما) يعود إلى لفظي الجنة والنار الواقعين في قوله ﴿ ونادى أصحاب الجنّة أصحاب النّار﴾ ، وهما اسما مكان، فيصلح اعتبار التوسّط بينهما وجعل الحجاب فصلاً بينهما ، وتثنية الضمير تعيّن هذا المعنى ، ولو أريد من الضمير فريقا أهل الجنّة وأهل النّار لقال (بينهم) كما قال في سورة الحديد ﴿فضرب بينهم بسور له باب.. ﴾ الآية" [3].

الثالثة: ليس تخصيص الرجال بالذكر في قوله تعالى ﴿ وعلى الأعراف رجال يعرفون كلاً بسيماهم﴾ يقتضي أنّه ليس في أهل الأعراف نساء، وإنّما ذكر الرجال على وجه التغليب، ولا اختصاص – أيضاً– لهؤلاء الرجال المتحدّث عنهم بذلك المكان دون سواهم من الرجال، ولكن هؤلاء رجال يقع لهم هذا الخبر الذي أخبر الله عنه من حالهم فذكروا ههنا للاعتبار[4].

الرابعة : في ذكر حال أصحاب الأعراف أنهم يطمعون في رحمة الله أي أنّهم يرجونها إشارة إلى أنّ العبد لا سبيل له إلى دخول الجنّة إلا برحمة الله وفضله وإن كانت له أعمال صالحة فضلاً عن هؤلاء الذين لا أعمال صالحة راجحة لهم توصلهم إلى جنّة الله تعالى؛ ولكنّما هي رحمته سبحانه التي وسعت كلّ شيء، ولاحدّ لفضله وجوده وكرمه

---

(١) انظر: تفسير البغوي ج٢ ص١٦٣؛ تفسير الثعالبي ج٢ ص٢١ .

(٢) انظر: التحرير والتنوير ج٨ ص١٤٠.

(٣) التحرير والتنوير لابن عاشور : ج٨ ص١٤١.

(٤) انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور ج٨ ص١٤٢.

بعباده في يوم لاملك فيه لأحد إلاّ له عزّوجلّ، والكلّ تحت رحمته وعفوه ومغفرته.

المبحث الثاني: حال أصحاب الأعراف عند رؤية أصحاب النّار :

يعرض القرآن الكريم في هذا المشهد الحواريّ شأن أصحاب الأعراف تجاه أصحاب كلّ من الجنّة والنار.. عرضاً تصويرياً لحالهم وانفعالاتهم النفسيّة تجاه الفريقين، فأصحاب الجنّة يبادرونهم بالسلام والتحيّة والبشرى، وأصحاب النّار يعوذون بالله تعالى ويلجؤون إليه ويدعونه ألاّ يجعلهم معهم في العذاب حين يرونهم ، وهذا هو وجه العطف بالواو بين الحالتين بقوله تعالى ﴿ وَإِذَا صُرِفَتۡ أَبۡصَٰرُهُمۡ تِلۡقَآءَ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِ قَالُواْ رَبَّنَا لَا تَجۡعَلۡنَا مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [1]، ولذلك كانت هذه الآية الكريمة مكمّلة لمشهد نداء أصحاب الأعراف أصحاب الجنّة في هذا الفصل .

– هذا وإنّ التعبير بالفعل المبنيّ للمجهول في قوله ﴿ وإذا صرفت أبصارهم..﴾ يفيد أنهم يوجِّهون أبصارهم إلى أصحاب الجنّة وإذا صرفت تجاه وحيال أصحاب النار كان ذلك من غير توخٍّ منهم ولا رغبة ولا اختيار بل بصارف يصرفهم إليها من قِبَل الله تعالى؛ فهم محمولون عليه مفعول بهم ذلك؛ لأنّ هذا المطَّلَع مخوفٌ من سماعه فضلاً عن رؤيته فضلاً عن التلبّس به، أو قد يكون ذلك بمقتضى سرعة تحوّلها من جهة إلى أخرى، أو أنّه يشير إلى أنّهم لاينظرون إلى أصحاب النّار إلا نظراً شبيهاً بفعل من يحمله على الفعل حامل، وذلك لأنّ النّفس وإن كانت تكره المناظر السيئة فإنّ حبّ الاطّلاع يحملها على أن توجّه النّظر إليها آونةً لتحصيل ما هو مجهول لديها[2].

– وعلى كلٍّ حال فإنّ الله تعالى بيّن حالهم حين تُصرَف أبصارهم تجاه أصحاب النار ورؤيتهم لهم وهم في العذاب يتقلّبون وفي النّار يسجرون أنّهم سألوه مستغيثين به ومستجيرين ألاّ يجعلهم معهم في نار جهنّم ﴿ قالوا ربنا لاتجعلنا مع القوم الظالمين ﴾، وما هذا إلا خوفاً منهم لأجل ما ارتكبوه من المعاصي في دنياهم، وتذلّلاً له سبحانه وطمعاً ورجاءً في رحمته بهم ألاّ يجمعهم مع أصحاب النّار الظالمين[3].

---

(1) سورة الأعراف : الآية (٤٧).

(2) انظر: البحر المحيط لأبي حيان ج٤ ص٣٠٣؛ نظم الدرر للبقاعي ج٣ ص٣٧؛ تفسير أبي السعود ج٣ ص٢٣٠؛ غرائب القرآن للنيسابوري ج٨ ص١٢٢؛ تفسير الآلوسي ج٨ ص١٢٥؛ تفسير المنار ج٨ ص٤٣٤؛ تفسير السعدي ج٣ ص٣٣؛ التحرير والتنوير ج٨ ص١٤٤.

(3) انظر: البحر المحيط لأبي حيّان ج٤ ص٣٠٣؛ تفسير القرطبي ج٧ ص٢١٤؛ تفسير أبي السعود ج٣ ص٢٣٠؛ تفسير الخازن ج٢ ص٢٣٤؛ تفسير الآلوسي ج٨ ص١٢٥؛ تفسير السعدي ج٣ ص٣٣ .

وبهذا التضرّع والسؤال الخاشع لله تعالى يقف التصوير لهذا المقطع من مشهد الحوار، وفيه تمهيد لما سيرد في المقطع القادم من حوار أصحاب الأعراف مع أصحاب النّار بعد أن رأوا ما رأوا فيها واستعاذوا بالله منها.

فوائد ولطائف :

الأولى: في وجه التعبير بفعل الصّرف حال توجّه أبصار أصحاب الأعراف إلى أصحاب النار قال أبو السعود العماديّ : " وفي عدم التعرّض لتعلّق أنظارهم بأصحاب الجنّة والتعبير عن تعلّق أبصارهم بأصحاب النّار بالصّرف إشعار بأنّ التعلّق الأول بطريق الرغبة والميل، والثاني بخلافه"[1].

الثانية: إنّ كلمة (تِلقاء) في الأصل مصدر (لقي)، وليس في المصادر ما هو على وزن (تِفعال) بكسر التاء غيره وغير تِبيان وزلزال، ثم استعمل ظرف مكان بمعنى جهة اللقاء والمقابلة، أمّا باقي المصادر فعلى وزن (تَفعال) أي بفتح التاء مثل (تَسْيار وتَهْمام وتَذْكار)، وفي الاسم بالكسر كثير مثل: تِقصار وتِمثال[2].

الثالثة: إنّ في استغاثة أصحاب الأعراف ونداءهم الله تعالى بأن يجيرهم من أن يكونوا مع أصحاب النّار بقولهم (ربّنا) إشعاراً بوصفه تعالى بأنّه المحسن إليهم في الدنيا بكلّ إحسان وأنّه مصلح شأنهم وسيّدهم، فهو الحقيق بالإحسان إليهم في الآخرة ؛ وهم عبيده الفقراء إليه وإلى كرمه ومغفرته ورحمته. فالدعاء بهذا الوصف فيه طلب لرحمته واستعطاف لكرمه بحقّ ربوبيّته لهم [3].

الرابعة : ولأبي السعود لطيفة في وصف أصحاب الأعراف أصحاب النار بالظلم دون ما هم عليه من العذاب حيث قال : " وفي وصفهم بالظلم دون ما هم عليه حينئذ من العذاب وسوء الحال الذي هو الموجب للدعاء إشعار بأنّ المحذور عندهم ليس نفس العذاب فقط بل ما يوجبه ويؤدّي إليه من الظلم "[4].

---

(١) تفسير أبي السعود: ج٣ ص٢٣٠.

(٢) انظر: لسان العرب لابن منظور ج ١٥ ص٢٥٣ – ٢٥٤ ؛ مختار الصحاح للرازي ص٦٠٣؛ تفسير القرطبي ج٧ ص٢١٤؛ غرائب القرآن للنيسابوري ج٨ ص١٢٢؛ تفسير الآلوسي ج٨ ص١٢٥.

(٣)انظر: البحر المحيط لأبي حيان ج٤ ص٣٠٣؛ نظم الدرر للبقاعي ج٣ ص٣٧ .

(٤) تفسير أبي السعود ج٣ ص٢٣٠ .

الخامسة: في وصف الله تعالى لحال أصحاب الأعراف في هذا المقطع بقوله ﴿ لم يدخلوها وهم يطمعون ﴾ وقوله ﴿وإذا صرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النّار قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين ﴾ في ذلك جمع بين حالتي الرّجاء والخوف عندهم آنذاك، ولعل في هذا إشارة إلى ما ينبغي أن يكون عليه المؤمن في حياته من التمثّل بهاتين الحالتين، مع تغليب حالة الرجاء عند موته ولقاء ربّه كما هو معلوم.

وبهذه الإشارة أختم كلامي حول هذا المقطع من مشهد الحوار في فصله الثاني ولله الحمد والمنّة.

* * *

الفصل الثالث :" نداء أصحاب الأعراف رجالاً من أصحاب النّار :

المبحث الأول: نداء التقريع والتبكيت للمستكبرين من أصحاب النّار :

-ويزداد القلب تعلّقاً بحلقات هذا المشهد القرآني مع الحضور والتأمّل والاعتبار بما فيه من لحظات الرّغبة والرّهبة والتنقّل بين حالات مختلفة من المشاعر والانفعالات.. وما زال مشهد الحوار مستمراً تُعرض فيه صورٌ وأقوال وعبارات،فكلُّ فئة من فئات الحوار تنظر الآن إلى الأخرى وتراها، ويظلّ المشهد مفتوحاً يخبرنا الله عزّوجلّ عمّا يدور فيه ويجري، وها هو ذا المقطع الثالث تعرض فيه صورة أصحاب الأعراف وهم يخاطبون رجالاً من أصحاب النّار، ذلك أنّه بعد أن استجاروا بالله تعالى من حال أهل النّار حين صرفت أبصارهم تلقاءهم، وذلك على وجه العموم، ذكر ههنا ما كان منهم من بعدُ على وجه الخصوص برؤيتهم في النار – حين اطلعوا فيما اطّلعوا عليه فيها – رجالاً من أصحابها يعرفونهم بعلاماتهم الشخصيّة الذاتيّة المعيّنة الدالّة عليهم بخصوصهم، وهم رؤساء وكبراء أقوامهم من عظماء أهل الكفر والضلال، فجاء حوارهم معهم في حيّز التبكيت والتقريع ومزيد التحسير[1]، وهذا هو ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٗا يَعۡرِفُونَهُم بِسِيمَىٰهُمۡ قَالُواْ مَآ أَغۡنَىٰ عَنكُمۡ جَمۡعُكُمۡ وَمَا كُنتُمۡ تَسۡتَكۡبِرُونَ ﴿٤٨﴾ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمۡتُمۡ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحۡمَةٍۚ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمۡ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ﴾[2]، ولعلّ الباعث على ندائهم وحوارهم معهم أنّ هؤلاء العظماء كانوا في الدنيا أصحاب منعة وأبّهة وشرف وأموال وأولاد وأعوان ونصراء؛ فلمّا رأوهم منفردين في العذاب بلا ناصر ولا مغيث نادوهم قائلين لهم: ﴿ما أغنى عنكم جمعكم وما كنتم تستكبرون﴾؟!

– هذا ويحتمل أن يكون كلامهم هذا على سبيل الاستفهام الذي يفيد التقرير مع التقريع والتوبيخ، فتكون (ما) استفهامية، ويكون المعنى على ذلك: أيّ شيء أغنى عنكم ونفعكم به أتباعكم وأشياعكم وكثرتكم التي كنتم تعتزّون بها وأموالكم التي جمعتموها في دنياكم، وأيّ شيء كذلك أغنى عنكم ومنعكم من العذاب

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير ج٢ ص٢٩٣؛ التفسير الكبير للفخر الرازي ج١٤ ص٩١؛ نظم الدرر للبقاعي ج٣ ص٣٧؛ محاسن التأويل للقاسمي ج٧ ص٩٠؛ حاشية الصاوي على الجلالين ج٢ ص٧٦؛ تفسير السعدي ج٣ ص٣٤؛ التحرير والتنوير لابن عاشور ج٨ ص١٤٥.

(٢) سورة الأعراف : الآيتان (٤٨-٤٩).

استكباركم وتعاليكم عن اتباع الحقّ وعلى أهل الإيمان من الخلق؟ ، ويحتمل أن تكون (ما) نافية، ويكون المراد أنّه لم تغن عنكم كثرتكم وأموالكم واستكباركم في دفع العذاب عنكم أو إخراجكم منه بعد وقوعكم فيه، بل صرتم إليه ولزمكم . ويكون المقصود من هذا النداء والخبر الشماتة من أصحاب الأعراف بوقوع أولئك المخاطبين من كبراء المشركين وعظمائهم في العذاب، وتوقيفهم على خطئهم ، مع التبكيت الذي يحصل لهم بسببه[1]. فهذان الاحتمالان قائمان وسائغان ولايمنع منهما مانع من اللغة أو السياق؛ وإن كان القاسمي قال في تفسيره : " ولعلّ كونه استفهام توبيخ هوأبلغ وأفحم "[2]؛ فهو رأي وجيه وذو اعتبار لم يمنع به الاحتمال الآخر.

– ويستمرّ الحوار في هذا الموقف والمقطع بين أصحاب الأعراف وهؤلاء المستكبرين من أصحاب النار، فينظر أصحاب الأعراف مرة أخرى إلى الجنّة ويلتفتون بعدها إليهم ليزيدوا في تقريعهم وتوبيخهم وتحسيرهم والإنكار عليهم قائلين لهم ﴿ أهؤلاء الذين أقسمتم لاينالهم الله برحمة ﴾ مشيرين إلى ضعفاء من المسلمين من أصحاب الجنّة ممّن كانوا يستضعفونهم في الدنيا ويعذبونهم ويبغون عليهم ويأنفون أن يشاركوهم في دينهم لقلّة حظوظهم الدنيوية وفقرهم تكبراً عليهم وعدواناً ، فهاهم أولاء في الجنّة والنّعيم المقيم، يخاطبونهم باستفهام تقريري يحمل معه التوبيخ والتقريع والتحسير، والله عزّوجلّ يكشف لهؤلاء المشركين المستكبرين عمّن استضعفوهم من أصحاب الجنّة حتى يرونهم فيزيد عذابهم برؤيتهم وهم في الجنّة عذاباً فوق العذاب، وهم كانوا يحلفون ألاّيصيبهم الله برحمة، فكيف بما حصلوا عليه ونالوه من كمال الرّحمة وهي الجنّة ونعيمها. وكم من الحسرة والندامة والخزي الذي يلفّ المشركين المستكبرين في هذا الموقف، ذلك أنّ الذي يرى من كان يدّعي

---

(1) انظر: تفسير الطبري ج٨ ص١٤٢؛ تفسير البغوي ج٢ ص١٦٣؛ البحر المحيط ج٤ ص٣٠٣؛ تفسير الثعالبي ج٢ ص٢١؛ تفسير القرطبي ج٧ ص٢١٤؛ تفسير ابن كثير ج٢ ص٢٩٣؛ التفسير الكبير للفخر الرازي ج١٤ ص٩١؛ غرائب القرآن للنيسابوري ج٨ ص١٢٢؛ نظم الدرر للبقاعي ج٣ ص٣٧؛ تفسير أبي السعود ج٣ ص٢٣١؛ تفسير الخازن ج٢ ص٢٣٤؛ تفسير البيضاوي ج٣ ص١١؛ حاشية الصاوي على الجلالين ج٢ ص٧٦؛ محاسن التأويل للقاسمي ج٧ ص٩٠؛ تفسير الآلوسي ج٨ ص١٢٥؛ التحرير والتنوير لابن عاشور ج٨ ص١٤٥؛ تفسير السعدي ج٣ ص٣٤؛ أضواء البيان للشنقيطي ج٢ ص٣٠١؛ تفسير المنار ج٨ ص٤٣٧.

(2) محاسن التأويل للقاسمي: ج٧ ص٩٠ .

التقدّم عليه والفضل والعلوّ والتميّز قد حصلت له المنزلة العالية والدرجة السامية ونال الفضل دونه، وهو قد كان من قبل مستضعفاً عنده ذليلاً، فإنّه بلا ريب يداخله أعظم الخزي وأشدّ الندامة وبالغ الحسرة على ما كان منه في نفسه[1].

فوائد ولطائف :

الأولى: إنّ في تكرار ذكر أصحاب الأعراف في قوله تعالى ﴿ ونادى أصحاب الأعراف..﴾ مع قرب العهد به إظهاراً في موضع الإضمار، إذ كان مقتضى الظاهر أن يقال : ونادوا ؛ وذلك لزيادة التقرير وكون هذا النّداء خاصاً في موضع خاص فكان مستقلاً دون ما قبله الموجّه إلى أصحاب الجنّة في جملتهم. أو بمعنى أنّه لم يكتف بالإضمار للفرق بين المراد منهم هنا والمراد منهم فيما تقدّم، فإن المنادى هناك الكلّ وهنا البعض، هذا مع مراعاة أنّه لما تعدّد في الآية السابقة ما يصلح لعود الضمائر إليه وقع الإظهار كذلك في موضع الإضمار دفعاً للالتباس[2].

الثانية: إنّ في قول أصحاب الأعراف للمستكبرين من أصحاب النّار ﴿ ما أغنى عنكم جمعكم وما كنتم تستكبرون ﴾ إشارة إلى ذمّ الأموال والكثرة من الأعوان الصارفة عن اتباع دين الله تعالى والمؤدّية إلى الكفر والطغيان والفساد، وفيه إشارة أيضاً إلى ذمّ خلق الاستكبار عن الحقّ وعلى الخلق.. كما لايخفى ما في هذا الخطاب من الدّعوة إلى ضرورة التأمّل فيما سيصير إليه الإنسان في آخرته من المسؤولية والتبعة الفردية، حيث لايغني عنه شيء مما كان في الدنيا ينتصر به ويستند عليه ويتقوّى به..

الثالثة: يلاحظ أنّه أتي بصيغة الفعل دون المصدر في قوله تعالى (وما كنتم تستكبرون) إذ لم يقل استكباركم – بالمصدر – كسابقه في قوله (جمعكم)، وذلك ليتوسل بالفعل المضارع إلى أن الاستكبار كان دأبهم وديدنهم وهم مستمرّون عليه

---

(1) انظر: تفسير البغوي ج٢ ص١٦٣؛ البحر المحيط لأبي حيان ج٤ ص٣٠٣؛ تفسير الثعالبي ج٢ ص٢١؛ التفسير الكبير للفخر الرازي ج١٤ ص٩١؛ زاد المسير لابن الجوزي ج٣ ص٢٠٨؛ نظم الدرر للبقاعي ج٣ص ٣٧-٣٨؛ غرائب القرآن للنيسابوري ج٨ ص١٢٢؛ حاشية الصاوي على الجلالين ج٢ ص٧٦؛ تفسير البيضاوي ج٣ ص١١؛ تفسير أبي السعود ج٣ ص٢٣١؛ محاسن التأويل للقاسمي ج٧ ص٩٠؛ فتح القدير للشوكاني ج٢ ص٢١٦؛ تفسير الآلوسي ج٨ ص١٢٦؛ التحرير والتنوير لابن عاشور ج٨ ص١٤٦-١٤٧؛ تفسير السعدي ج٣ ص٣٤.

(2) انظر: تفسير الآلوسي ج٨ ص١٢٥؛ تفسير المنار ج٨ ص٤٣٦؛ التحرير والتنوير ج٨ ص١٤٤.

لايفترون عنه، تشنيعاً عليهم بعظيم قبحه وسوء صفته[1].

الرابعة: إنّ الله تعالى يُعلن عن ميزانه الحقّ على لسان أصحاب الأعراف بقولهم للمستكبرين من أصحاب النار ﴿أهؤلاء الذين أقسمتم لاينالهم الله برحمة﴾، فإنّ الله تعالى رافع شأن عباده المؤمنين المتّقين وواهبهم كامل رحمته بجنّته ورضوانه، وقد كانوا في الدنيا مستضعفين لاحظّ لهم فيها، وإنّه سبحانه لخافض شأن الكفرة المستكبرين في الدنيا على عباده المؤمنين، وجاعلهم في شَرّ إهانة وعقاب بعذاب جهنّم، فلايضرّ أهل الإيمان ويحزنهم استكبار هؤلاء عليهم في الدنيا، ولايشقّ عليهم أن يجدوهم في عزّة ومنعة؛ فإنّ العاقبة لهم والحسنى وزيادة.

المبحث الثاني:خطاب الله تعالى لأصحاب الأعراف بدخول الجنّة :

ويختم الله عزوجلّ هذا الموقف الرّهيب، ويتوقّف الحوار –هاهنا– بين أصحاب الأعراف والمستكبرين بخطابه تعالى لأصحاب الأعراف مبشّراً ﴿ ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولاأنتم تحزنون ﴾ ، وما أعظمه من خطاب من ربّ العزّة والجلال لأولئك الموقوفين الطامعين في دخول الجنّة برحمته وفضله، وهم ينتظرون هذا الكرم الإلهيّ في هذا الموقف العظيم على الأعراف، ويخشون أن يزجّ بهم في النّار، ولكنّما هي رحمة الرحيم الرحمن التي وسعت كلّ شيء. وليتصوّر المتأمّل كم في هذه العبارة الكريمة ﴿ ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون ﴾ من الفرج والبشرى لأصحاب الأعراف، وكم هي الغبطة التي يشعرون بها حين سماعهم لها من ملك الملوك سبحانه أو من الملائكة المكلفين بأمر الله أن يقولوا لهم هذا القول في ذلك اليوم العظيم يوم الفصل والحساب[2]. وحول هذا المعنى قال الفخر الرازي : " والمراد أنّه تعالى يحثّ أصحاب الأعراف بالدخول في الجنّة واللحوق بالمنزلة التي أعدّها الله لهم ، وعلى هذا التقدير فقوله﴿ أهؤلاء الذين أقسمتم لاينالهم الله برحمة﴾ من كلام أصحاب الأعراف، وقوله

---

(1) انظر: تفسير الآلوسي ج٨ ص١٢٥؛ التحرير والتنوير ج٨ ص١٤٦ .

(2) انظر: تفسير الطبري ج٨ ص١٤٣؛ الكشاف للزمخشري ج٢ ص٦٤؛ التفسير الكبير للفخر الرازي ج١٤ ص٩١-٩٢؛ تفسير ابن كثير ج٢ ص٦٤؛ التفسير الكبير للفخر الرازي ج١٤ ص٩١-٩٢ ؛ تفسير ابن كثير ج٢ ص٢٩٣؛ تفسير الخازن ج٢ ص٢٣٤؛ تفسير البيضاوي ج٣ ص١١ ؛ تفسير أبي السعود ج٣ ص٢٣١؛ تفسير المنار ج٨ ص٤٣٧ .

﴿ ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون﴾ من كلام الله تعالى، ولابد ههنا من إضمار، والتقدير : فقال الله لهم هذا، كما قال ﴿ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ ﴾ [1] وانقطع هاهنا كلام الملأ ثم قال فرعون: ﴿ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴾ فاتّصل كلامه بكلامهم من غير إظهار فارق فكذا هاهنا"[2].

هذا ولم تقتصر البشرى بإدخالهم الجنّة فقط، بل حملت أيضاً التطييب لقلوبهم والاهتمام بمشاعرهم والرعاية لخواطرهم ونفسيّاتهم بقوله سبحانه ﴿ لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون ﴾ فالله –عزوجل– يزيد بشراه لهم ببشرى أخرى وهي نفيه عنهم كلّ ما يكدّرهم ويذهب بفرحهم وسرورهم ، فلاخوف عليهم في مستقبل أمرهم من عقوبة يعاقبون بها أو ممّا يكرهونه من المكاره بسبب ما سلف منهم في الدنيا من الآثام ، ولا هم يحزنون على شيء فاتهم في دنياهم ، فهم آمنون مطمئنون فرحون بما آتاهم الله من فضله ومتنعّمون كمال النعيم لا كدر عليهم من بعد البتة[3].

وهكذا ببيان مآل أصحاب الأعراف وأمر الله تعالى لهم بدخول الجنّة يسدل الستار على حالهم وحوارهم الذي جاء ذكره في هذا المشهد القرآني ، ويبقى من بعدِ دخولهم في أصحاب الجنّة واستقرارهم فيها المقطع والفصل الأخير في الحوار بين أصحاب الجنّة والنّار، في حوار خاتم ذي دلالات مؤثّرة وباعثة لمزيد من الرّغبة والرّهبة بعد أن أُغلِق كلّ مكانٍ على من فيه .. وهذا ما تتوجه إليه الأنظار في الفصل القادم.

فوائد ولطائف :

الأولى : رفع (خوف) مع (لا) النافية للجنس في قوله تعالى(لاخوف عليكم)، لأنّ أسماء أجناس المعاني التي ليست لها أفراد في الخارج يستوي في نفيها بلا الرفع والفتح[4].

---

(١) سورة الأعراف : الآية (١١٠)

(٢) التفسير الكبير للفخر الرازي : ١٤ ص٩٢ .

(٣) انظر: تفسير الطبري ج٨ ص١٤٣؛ تفسير المنار ج٨ ص٤٣٧؛ تفسير السعدي ج٣ ص٣٤

(٤) انظر: التحرير والتنوير ج٨ ص١٤٧. وفصّل ابن عاشور ذلك في موضع آخر له حيث قال: " نفي الخوف نفي الجنس بلا النافية له، وجيء باسمها مرفوعاً لأنّ الرفع يساوي البناء على الفتح في مثل هذا، لأن الخوف من الأجناس المعنوية التي لايتوهّم في نفيها أن يكون المراد نفي الفرد الواحد، ولو فتح مثله لصحّ ". (التحرير والتنوير ج٨ ص١١٠).

الثانية: عُدِل عن عطف المفرد في قوله تعالى (ولا أنتم تحزنون) بأن يقال ولاحزن- إلى الجملة ؛ ليتأتّى بذلك بناء المسند الفعليّ على ضمير (أنتم) فيدل على أن الحزن واقع بغيرهم وهم أصحاب النار، فإن بناء الخبر الفعلي على المسند إليه المتقدّم يفيد تخصيص المسند إليه بذلك الخبر[1].

الثالثة: للزمخشري كلام جيد في فائدة حبس أصحاب الأعراف عليها ومن ثمّ إدخالهم الجنّة حيث قال : " وفائدة ذلك بيان أنّ الجزاء على قدر الأعمال، وأنّ التقدّم والتأخّر على حسبها، وأنّ أحداً لايسبق عند الله تعالى إلاّ بسبقه في العمل ولايتخلّف عنده إلاّ بتخلّفه فيه، وليرغب السامعون في حال السابقين ويحرصوا على إحراز قصبتهم ، وليتصوّروا أنّ كلّ أحد يعرف ذلك اليوم بسيماه التي استوجب أن يوسم بها من أهل الخير والشرّ فيرتدع المسيء عن إساءته ويزيد المحسن في إحسانه وليُعلَم أنّ العصاة يوبخهم كلّ أحد حتى أقصر الناس عملاً"[2]. فليُتأمّل كلامه ويُعتبر به ويتّعظ.

وبهذه الفوائد أختم كلامي حول هذا الفصل من مشهد الحوار،

ولله الحمد والمنّة.

* * *

---

(1) انظر: المرجع السابق ج٨ ص١١٠.

(2) الكشاف للزمخشري : ج٢ ص٦٤ .

الفصل الرابع: نداء أصحاب النّار أصحاب الجنّة :

المبحث الأول: نداء الاستغاثة والإجابة عنه:

ويأتي مشهد الحوار إلى نهايته في هذه الآيات الكريمة، فهذا هو المقطع الأخير من المشهد، وفيه يخبر الحقّ -تبارك وتعالى- بتصوير عجيب مليء بالدلالات والإيحاءات عن حال أصحاب النّار من شدّة الكرب والضيق وغاية العطش والجوع ممّا يجدونه من سوء العذاب وبئس المصير.

وكما قدّم الله تعالى في أوّل المشهد نداء أصحاب الجنّة عندما حصل لهم السرور بدخولها وسؤالهم عن حال أصحاب النّار وما دار بينهم من حوار - فيما بُيّن سابقاً- جعل سبحانه خاتمة المشهد ونهايته في مقابل ذلك نداء أصحاب النّار أصحاب الجنّة في طلب الغوث والإنقاذ ممّا هم فيه، وإن كانوا قد علموا أنّهم مخلّدون في العذاب، ولكنّما هي الحيرة والقلق والاضطرار، فإنّ الآيس من الشيء قد يطلبه شأن المضطرّ الممتحن كما يقال في المثل: الغريق يتعلّق بالزّبد وإن علم أنّه لا يغنيه[1].

وبهذا فكما ابتدأ مشهد الحوار بين أصحاب الجنّة وأصحاب النّار فإنّه ينتهي وتتمّ أحداثه بينهما كذلك، ولكن جاءت النهاية ههنا بعد ذكر ما تخلّل المشهد من شأن أصحاب الأعراف وحوارهم مع كلا الفريقين ودخولهم من بعدُ الجنّة مع أصحابها وصاروا من أهلها، وما ثمّة الآن إلاّ فريقان، فريق في الجنّة وفريق في السعير، فكان المقطع والموقف الأخير من الحوار بعد الفصْل واستقرار كلّ فريق في مكانه وانطواء الجنّة والنّار على أهل كلٍّ منهما.

- هذا ولقد تكلّم صاحب نظم الدرر حول هذه المناسبة بكلام حسن إذ قال: " ولمّا تقدّم نداء أصحاب الجنّة عندما حصل لهم السرور بدخولها بما يؤلم وينكي، وختم بهذه الرحمة التي تطمع المحروم فيما يسرّ ويزكي، أخبر أنّ أصحاب النّار ينادون أصحاب الجنّة عندما حصل لهم من الغمّ بدخولها، لكن بما شأنه أن يُرقّق ويُبكي، فقال ما يدلّ على أنّ عندهم كلّ ما نفي عن أهل الجنة في ختام الآية السالفة من الخوف

---

(1) انظر: تفسير الطبري ج٨ ص١٤٣؛ الكشاف للزمخشري ج٢ص١٤٧؛ غرائب القرآن للنيسابوري ج٨ص١٢٣؛ تفسير الخازن ج٢ص٢٣٥.

والحزن"[1].

– ويظهر لنا هذا النّداء بقوله تعالى ﴿ وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَنۡ أَفِيضُواْ عَلَيۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ أَوۡ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُۚ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ۞ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمۡ لَهۡوٗا وَلَعِبٗا وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۚ فَٱلۡيَوۡمَ نَنسَىٰهُمۡ كَمَا نَسُواْ لِقَآءَ يَوۡمِهِمۡ هَٰذَا وَمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ ﴾ [2]. فها هم أولاء أصحاب النّار ينادون أصحاب الجنّة ويستغيثون بهم في ذلّة متناهية ويستجدونهم العطاء وهم قد بلغ بهم العذاب كلّ مبلغ ، فشرابهم الحميم وطعامهم الضريع.. جوع مفرط وظمأ موجع.. فهم في بأس شديد وبلاء وضيق وكرب لايزول ولاينقطع.. ينادون أصحاب الجنّة ﴿ أن أفيضوا علينا من الماء أو ممّا رزقكم الله﴾، أي يطلبون منهم ويستغيثونهم أن يغدقوا ويوسّعوا عليهم ويواسوهم بشيء من الماء أو مما رزقهم الله وأنعم عليهم في دار نعيمهم من غيره من الأشربة أو الأطعمة ، أي يستسقونهم ويستطعمونهم [3]. وإنّما طلبوا الماء أولاً قبل غيره من سائر الأشربة والأطعمة لأنّ من كان في سموم وحميم ولهيب وحريق فإنّ شعوره بالحاجة إلى الماء أشدّ من شعوره بالحاجة إلى غيره. ولما يعلم أيضاً أنّ من عادة الماء إطفاء النّار وإخمادها[4].

– هذه استغاثة أصحاب النّار وذاك مطلبهم فماذا كان الجواب من أصحاب الجنّة؟ إنّه الجواب القاطع الحاسم لكلّ رغبة غوْث وإنقاذ.. ذلك الجواب الذي جاء عن أمر الله تعالى لأصحاب الجنّة؛ لا باجتهاد منهم، وهو قولهم : ﴿ إنّ الله حرّمهما على الكافرين﴾، نعم، فإنّ الله الذي حرّم عليهم دخول الجنّة من قبل حرّم عليهم كذلك إفاضة أو إعطاء شيء منها لهم وهم في النّار، وإنّما ماؤهم الحميم وطعامهم الزّقوم والضريع

---

(١) نظم الدرر للبقاعي: ج٣ ص٣٨ .

(٢) سورة الأعراف : الآيتان (٥٠–٥١).

(٣) انظر: تفسير الطبري ج٨ ص١٤٣–١٤٤؛ تفسير البغوي ج٢ ص١٦٤؛ البحر المحيط لأبي حيّان ج٤ ص٣٠٥؛ تفسير ابن كثير ج٢ ص٢٩٤؛ تفسير غرائب القرآن للنيسابوري ج٨ ص١٢٢–١٢٣؛ تفسير أبي السعود ج٣ ص٢٣١؛ تفسير الخازن ج٢ ص٢٣٥؛ تفسير الآلوسي ج٨ ص١٢٦؛ محاسن التأويل للقاسمي ج٧ ص٩٢؛ فتح القدير للشوكاني ج٢ ص٢١٨؛ تفسير المنار ج٨ ص٤٣٨.

(٤) انظر: البحر المحيط لأبي حيان ج٤ ص٣٠٥؛ التفسير الكبير للفخر الرازي ج١٤ ص٩٣؛ غرائب القرآن للنيسابوري ج٨ ص١٢٢؛ تفسير المنار ج٨ ص٤٣٩.

والغسلين[1].

وعلى هذا فإنّ الضمير في قوله تعالى (حرّمهما) عائد على الماء وعلى الذي يشمله رزق الله من غيره كسائر الأشربة والأطعمة[2].

والتحريم المراد به هنا معناه اللغويّ وهو المنع منعاً كليّاً، فلا يُحمل على معناه الشرعي لأنّ الدار الآخرة ليست بدار تكليف[3].

ولاريب أنّ هذا الجواب من أصحاب الجنّة لأصحاب النّار هو النهاية والغاية في الخيبة والحسرة لهم[4]، فلا طمع من بعد في رحمة الله تعالى بهم، وإنّ أصحاب الجنّة لقائمون بأمر الله تعالى ولا سبيل لمدّ يد عون منهم لهؤلاء الكفرة المستغيثين، وليس في قلوبهم أدنى عطف ورأفة تجاههم، ولهذا قال الصاوي في حاشيته: " ويعلم من هذا – أي من جواب أهل الجنّة – أنّه لايتأثّر أهل الجنّة بعذاب أهل النّار لتقطّع الأسباب بينهم ونزع الرّحمة من قلوب أهل الجنّة لأهل النّار لاستحقاقهم ما هم فيه من العذاب" [5].

– هذا والذي يُلاحظ أنّ أصحاب الجنّة لم يقتصروا في جوابهم لأصحاب النّار ببيان تحريم الله تعالى عليهم الماء وسائر الأشربة والأطعمة ولكنّهم بيّنوا لهم سبب هذا الحرمان والمنع، وذلك بوصفهم بصفات ذميمة تمثّلوا بها في حياتهم الدنيوية فكانت سبباً في جزائهم وعقابهم في الآخرة ، ولايخفى أنّ في ذلك البيان منهم إقامة للحجّة على أصحاب النّار ومزيداً من التوبيخ والتقريع والتحسير لهم، وهذا هو ما جاء في قولهم ﴿إنّ الله حرمهما على الكافرين . الذين اتخذوا دينهم لهواً ولعباً وغرّتهم الحياة الدنيا﴾، فوصفوهم بثلاث صفات : (أوّلها) : الكفر بالله تعالى، وهذه الصفة كافية أن تكون سبباً لما هم فيه من العذاب والحرمان من رحمة الله تعالى. وأمّا الصفتان الثانية والثالثة واللتان جاءتا في حيّز الموصولية بقولهم ﴿ الذين اتخذوا دينهم لهواً ولعباً وغرتهم الحياة

---

(١) انظر: تفسير الثعالبي ج٢ ص٢٢، البحر المحيط لأبي حيّان ج٤ ص٣٠٥، تفسير المنار ج٨ ص٤٣٩ .

(٢) انظر: تفسير الطبري ج٨ ص١٤٤، تفسير القرطبي ج٧ ص٢١٦،تفسير الآلوسي ج٨ ص١٢٦، فتح القدير للشوكاني ج٢ ص٢١٨.

(٣) انظر: تفسير الآلوسي ج٨ص١٢٦، حاشية الجمل على الجلالين ج٢ ص١٤٧ ؛ تفسير المنار ج٨ ص٤٣٩، مختار الصحاح للرازي ص١٣٢.

(٤) انظر: غرائب القرآن للنيسابوري ج٨ ص١٢٣.

(٥) حاشية الصاوي على الجلالين : ج٢ ص٧٧ .

الدنيا﴾ فهما زيادة بيان لما استحقّوا به هذا الجزاء وتأكيدٌ على استحقاقهم أيضاً وصف الكفر الذي وصفوا به أوّلاً.

وعلى ما سبق فإنّ الصفة الثانية هي اتخاذهم الدين لهواً ولعباً، أي أنّهم جعلوا هذا الدّين الذي أمرهم الله تعالى بالقيام به في محلّ الاستهزاء والسخرية ولهت قلوبهم وانشغلت عنه بما زيّن لهم الشيطان وأملى لهم فأعرضوا عنه وصدّوا النّاس عن اتباعه وسخروا من دعاته وآذوهم وتلاعبوا به فلم يتديّنوا بهديه وشرعه فحرّموا ما شاءوا واستحلّوا ما شاءوا تبعاً لأهوائهم وشياطينهم[1].

وثالث الصفات ﴿ وغرّتهم الحياة الدنيا ﴾ أي هم المغترّون الغافلون المخدوعون بزخارف الدنيا وزينتها وشهواتها المحرّمة وطول الأمل فيها واعتقادهم أنّها الغاية القصوى، فانشغلوا بها عن آخرتهم واطمأنّوا إليها وفرحوا ورضوا بمتاعها، وكان كلّ همّهم التمتّع بشهواتها ولذّاتها حلالاً كانت أو حراماً، حتى عاجلهم الموت وهم على ذلك من الغفلة والغِرَّة[2]. وللخازن كلام جيّد بيّن فيه حال هؤلاء المنبئ عن غفلتهم الشديدة حيث قال:" الغِرّة غفلة في اليقظة وهو طمع الإنسان في طول العمر وحسن العيش وكثرة المال والجاه ونيل الشهوات، فإذا حصل له ذلك صار محجوباً عن الدين وطلب الخلاص لأنّه غريق في الدنيا وما هو فيه ذلك"[3].

وبهذه الصفات التي وصف بها أصحاب الجنّة أصحاب النّار والتي ذيّلوا بها إجابتهم عن استغاثتهم يتمّ وينتهي عرض القرآن الكريم لمشهد الحوار بين أصحاب كلٍّ من الجنّة والنار والأعراف، ولكن يبقى من بعدُ التعقيب الإلهيّ على الفصل الأخير هذا من الحوار، وهو ما يتضمّنه المبحث القادم .

فوائد ولطائف :

الأولى: نداء أصحاب النّار أصحاب الجنّة بقولهم (أفيضوا) ومادة الفيض فيها معنى

---

(1) انظر: تفسير الطبري ج٨ ص١٤٤؛ تفسير البغوي ج٢ ص١٦٤؛ تفسير الثعالبي ج٢ ص٢٢؛ تفسير ابن كثير ج٢ ص٢٩٤؛ تفسير الخازن ج٢ ص٢٣٥؛ تفسير الآلوسي ج٨ ص١٢٦؛ تفسير المنار ج٨ ص٤٣٩–٤٤٠؛ تفسير السعدي ج٣ ص٣٥.

(2) انظر: تفسير أبي السعود ج٣ ص٢٣١؛ تفسير الثعالبي ج٢ ص٢٢؛ تفسير الخازن ج٢ ص٢٣٥؛ تفسير المنار ج٨ ص٤٤٠؛ تفسير السعدي ج٣ ص٣٦ .

(3) تفسير الخازن: ج٢ ص٢٣٥ .

الكثرة والسّعة في العطاء؛ دون أن يقولوا أعطونا أو اسقونا؛ لتصوير ما هم فيه من شدّة الجوع والعطش وما يعانونه من العذاب. وهذا فيه مزيد تأثير على القارئ أو السامع لقولهم هذا في الرّهبة من حالهم ومن عذاب الله الذي يلاقونه.

الثانية: يجوز في معنى (أو) في قوله تعالى (أفيضوا علينا من الماء أو ممّا رزقكم الله) أن تكون بمعنى الواو لقوله تعالى بعد ذلك (حرّمهما)، ويجوز كذلك أن تكون على بابها من اقتضائها لأحد الشيئين إمّا تخييراً أو إباحة أو غير ذلك ممّا يليق بها، وعلى هذا قد يقال كيف قيل (حرّمهما) فأعيد الضمير مثنى وكان من حقّ من يقول إنّها لأحد الشيئين أن يعود مفرداً؟ والجواب عن هذا بأن يقال أنّ المعنى حرّم كلاًّ منهما أو كليهما ولاحرج في ذلك أن يقال حرّمهما[1].

الثالثة: إنّ في إخبار الله تعالى عن وصف أصحاب الجنّة أصحاب النّار بقولهم ﴿الذين اتخذوا دينهم لهواً ولعباً وغرّتهم الحياة الدنيا﴾ إشارة موعظة وعبرة للمؤمنين بأن يأخذوا هذا الدين الإسلاميّ بحقّه من العمل به وتطبيق أحكامه والجدّ فيه وعدم التهاون والتساهل في اتباع ما جاء به والأخذ بالقوّة والحزم في تنفيذ شرائعه وشعائره، هذا مع ترك ما يُشغل عن الآخرة من الأعمال الصالحة النافعة والبعد عن كلّ ما يصرف عن الاستعداد لها، وذلك حتى لايشبه حالهم حال أولئك الذين ذُمّوا في كتاب الله تعالى على اتخاذهم الدين لهواً ولعباً وانشغلوا بالدنيا عن الآخرة واغترّوا بها.

المبحث الثاني : كلام الله تعالى في التعقيب على الحوار :

يتكلّم الله –سبحانه وتعالى – بمناسبة ذكر أصحاب الجنّة لصفات أصحاب النّار التي استحقّوا بها العذاب والحرمان من كلّ خير في هذا اليوم . يتكلّم سبحانه معقّباً ومرتّباً على ما ذكر من قبل بكلام فصْل يؤكّد فيه جزاءه الأليم وعقابه لهم وأن لا سبيل إلى خلاصهم ممّا هم فيه، فقد حكموا هم على أنفسهم وظلموها بما أوردوها محالّ غضبه وسخطه، فلا إجابة لدعائهم ولا رحمة لضعفهم وذلّهم وانكسارهم في ذلك اليوم ، وهذا هو قوله عزّوجلّ ﴿ فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ كَمَا نَسُوا۟ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا وَمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴾ [2] ، أي يقول سبحانه فاليوم يوم الجزاء نتركهم في العذاب المهين كما

---

(1) انظر: البحر المحيط لأبي حيّان ج٤ص٣٠٥، حاشية الجمل على الجلالين ج٢ ص١٤٧.

(2) سورة الأعراف : الآية (٥١).

تركوا العمل للقاء يومهم هذا ورفضوا الاستعداد له وبما كانوا ينكرون ويكذّبون من الآيات والحجج التي جاءتهم من قِبَل أنبيائهم ورسلهم [١].

- هذا ومن أجل ذلك عطف الحقّ سبحانه قوله من بعد ﴿ وَلَقَدْ جِئْنَٰهُم بِكِتَٰبٍ فَصَّلْنَٰهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [٢]، لإقامة الحجّة عليهم وعلى أمثالهم بإفادة أنّ جحودهم هذا لاعن قصورٍ في آيات الله تعالى وبيّناته، وإنّما قد بيّن سبحانه في كتابه الذي أنزله كلّ المطالب وفصَّل كلّ مايحتاج إليه خلقه على علم منه تعالى بأحوالهم وشؤونهم في كلّ زمان ومكان وما يصلح لهم[٣]، ومن ثمّ -أيضاً- يحذّر - عزّوجلّ- في تعقيبه هذا - وينذر الذين يواجهون هذا الكتاب العزيز بالتكذيب ويطلبون الخوارق والمعجزات لتصديقه من سوء المنقلب والمصير حيث قال ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ ۚ يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُوا۟ لَنَآ أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ قَدْ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴾ [٤]، أي هل ينتظرون إلاّ وقوع ما أخبر به من الجزاء يوم القيامة يوم يقول الذين تركوا العمل له متندّمين ومتأسّفين على ما مضى متشفّعين في مغفرة ذنوبهم ومقرّين بما أخبرت به رسلهم وطالبين أن يردّوا إلى الدنيا ليعملوا غير ما عملوا، ها وقد فات الوقت عن الرجوع إلى الدنيا ﴿ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴾ [٥]، ﴿ وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴾ [٦]، وهاهم قد تحقّقت خسارتهم حين فوّتوها الأرباح والمكاسب وسلكوا بها سبيل الهلاك والبوار، وضلّ عنهم ما كانوا يفترون في الدنيا ممّا تمنّيهم أنفسهم به ويعدهم به الشيطان وما يعدهم الشيطان إلا غروراً، فقدموا

---

(١) انظر: تفسير الطبري ج٨ ص١٤٤-١٤٥؛ تفسير ابن جزي ص٢٠٨؛ التفسير الكبير للفخر الرازي ج١٤ ص٩٣؛ تفسير القرطبي ج٧ ص٢١٦-٢١٧؛ زاد المسير لابن الجوزي ج٣ ص٢٠٩؛ تفسير الخازن ج٢ ص٢٣٥؛ حاشية الجمل على الجلالين ج ٢ص١٤٨؛ محاسن التأويل للقاسمي ج٧ص٩٣-٩٤؛ فتح القدير للشوكاني ج٢ص٢١٨؛ تفسير السعدي ج٣ ص٣٥.

(٢) سورة الأعراف: الآية (٥٢).

(٣) انظر: تفسير السعدي ج٣ ص٣٦ .

(٤) سورة الأعراف : الآية (٥٣).

(٥) سورة المدثر : الآية (٤٨).

(٦) سورة الأنعام : الآية (٢٨) .

على ما لم يكن لهم في حساب ، وتبيّن لهم باطلهم وضلالهم ، وصدق ما جاءتهم به الرّسل والأنبياء وما نزلت به الكتب من ربّهم الملك الحقّ العزيز الحكيم[1].

– وهكذا بهذا القول الفصْل عن خسارة أصحاب النّار وخيبة أملهم وأمانيّهم جزاء ما قدّموه في دنياهم بتفريطهم في أمر أخراهم ورجوعهم إلى ربّهم سبحانه يتمّ العرض القرآنيّ الكريم لهذا المشهد الحواريّ العظيم الذي أخبر الله عزّوجلّ عنه في هذه السُّورة الكريمة، وأسأل الله تعالى أن ينفع الجميع بآيات كتابه الكريم وأحكامه وحكمه ومواعظه وعبره. آمين.

فوائد ولطائف :

الأولى: إنّ النسيان بمعنى الغفلة والذي هو ضدّ الذكر والحفظ مستحيل على الله تعالى، ولذلك فإنّ معناه هنا في قوله تعالى ﴿ فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا﴾ – كما سبق ذكره – هو الترك العَمْد، وهو من معاني النسيان في اللّغة، وقد ورد في القرآن الكريم بهذا المعنى في غير هذا الموضع أيضاً[2].

الثانية: ذكر بعض المفسرين أنّ الكاف للتعليل في قوله تعالى ﴿ كما نسوا لقاء يومهم هذا﴾، ذلك أنّ حرمانهم من نعيم الجنّة وتركهم في العذاب معلول بنسيانهم لقاء يوم الجزاء[3]. وقولهم هذا وإن كان معناه صحيحاً ولكنّ الأصل أنّ الكاف للتشبيه، والتعليل الذي ذكروه إنّما يتولّد من استعمال الكاف في التشبيه الاعتباري، ولذلك قال ابن عاشور: " ودلّ معنى كاف التشبيه في قوله ﴿ كما نسوا ﴾ على أنّ حرمانهم من رحمة الله كان مماثلاً لإهمالهم التصديق باللّقاء، وهي مماثلة جزاء العمل للعمل ، وهي مماثلة اعتبارية ، فلذلك يقال: إنّ الكاف في مثله للتعليل كما في قوله تعالى ﴿ وَٱذۡكُرُوهُ

---

(1) انظر: تفسير السعدي ج٣ ص٣٦–٣٧ .

(2) من ذلك قوله تعالى (فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا إنا نسيناكم) السجدة: ١٤. وانظر: تفسير الطبري ج٨ ص١٤٤–١٤٥؛ تفسير ابن جزي ص٢٠٨؛ نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر لابن الجوزي ص٥٧٩–٥٨٠؛ زاد المسير لابن الجوزي ج٣ ص٢٠٩؛ لسان العرب لابن منظور ج١٥ ص٣٢٢–٣٢٣؛ مختار الصحاح للرازي ص٦٥٨؛ تفسير القرطبي ج٧ ص٢١٦–٢١٧؛ تفسير الخازن ج٢ ص٢٣٥؛ حاشية الجمل على الجلالين ج٢ ص١٤٨.

(3) انظر: تفسير ابن جزي ص٢٠٨؛ البحر المحيط لأبي حيان ج٤ ص٣٠٥؛ حاشية الجمل على الجلالين ج٢ ص١٤٨؛ تفسير المنار ج٨ ص٤٤٠.

كَمَا هَدَىٰكُمْ﴾ [1] وإنّما التعليل معنى يتولّد من استعمال الكاف في التشبيه الاعتباري، وليس هذا التشبيه بمجاز، ولكنّه حقيقة خفيّة لخفاء وجه الشّبه"[2].

الثالثة: يدلّ الإتيان بالفعل المضارع (يجحدون) في قوله تعالى ﴿وما كانوا بآياتنا يجحدون﴾ على أنّ الجحود هو طبعهم ودأبهم وأنّهم كانوا مستمرّين عليه دوماً لاينفكّون عنه[3]، وفيه تشنيع بحالهم المنكر العجيب من التكذيب والجحود مع وجود الآيات والحجج والبراهين الساطعة على الحقّ.

وبهذه الفوائد أختم كلامي حول هذا الفصل الأخير في مشهد الحوار، وبه تتمّ هذه الدراسة القرآنية ببيانها وفوائدها ولطائفها، ولله الحمد والمنّة.

* * *

---

(1) سورة البقرة: الآية (١٩٨).

(2) التحرير والتنوير لابن عاشور ج٨ ص١٥١.

(3) انظر: تفسير أبي السعود ج٣ ص٢٣١.

الخاتمة :

الحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصالحات، والصلاة والسلام الأتمّان الأكملان على نبيّنا وسيّدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن والاه . وبعد :

فما أنفع وأطيب لحال العبد المؤمن أن يعيش مع آيات كتاب الله تعالى متأمّلاً ما بيّنه ربّه تعالى وأخبر عنه من أحوال الخلق يوم الحساب ما بين ترغيب وترهيب وتخويف ودعوة للرّجاء وطلب لرحمة الله تعالى وفضله وتحذير من عقابه وغضبه، فيُقدِم على النّظر في حاله مع من يعرف سرّه وعلانيّته، ثمّ يراجع نفسه ويحاسبها ويعقد العزْم على تصحيح سيْرها ونهجها فيما يرضي الله سبحانه، تاركاً كلّ ما يؤثّر على عافيتها وقُربها من خالقها ونيل رضاه والثبات على دينه الحقّ، حتى يصل من بعد إلى الأجر العظيم الذي أخبرت به هذه الآيات القرآنية ويتخلّص من العقاب الأليم المذكور فيها..

وكانت هذه الآيات في سورة الأعراف التي تصوّر مشهداً للحوار بين أصحاب كلّ من الجنّة والنّار والأعراف هي واحدة من تلكم الآيات بل ومن أطولها عرضاً وتصويراً لمشاهد القيامة على طريقة فريدة تميّز بها القرآن الكريم في استحضار المشهد حيّاً متحرّكاً يراه القارئ والسامع له ويشهده بكلّ كينونته. هذه الطريقة التي تنبئ عن عناية هذا الكتاب الكريم بمشاهد يوم القيامة من البعث والحساب والنعيم والعذاب، فلم يعد ذلك العالم الذي وعد الله خلقه به بعد هذا العالم الحاضر موصوفاً لهم فحسب، بل عاد مصوّراً محسوساً وحيّاً متحرّكاً وبارزاً شاخصاً، وكأنّما عاش المؤمنون فيه ورأوا مشاهده، ولذلك فقد قادتهم هذه الطريقة القرآنية العجيبة إلى عظيم التأثّر به والإحساس والشعور بمراحله ومن ثمّ التفوّق في الاستعداد له، فلم يعد العالم الأخرويّ مستقبلاً موعوداً في الحسّ عند المؤمن وإنّما عاد واقعاً مشهوداً حاضراً.. وهذا الذي أرجو أن تحقّقه هذه الصفحات من هذه الدراسة القرآنية كنتيجة هامّة وأوّليّة من نتائجها.

– ثمّ إنّ في هذا الحوار الأخرويّ بياناً لحقائق عن طريق الحقّ وطريق الباطل ، وحال أهلهما في الدّنيا، ممّا يفيد المؤمن في تلمّس تلك الحقائق حتى يغدو طالباً لطريق الحقّ مجتنباً لطريق الباطل، مع سعيه وجهده في الاتصاف بصفات أهل الحقّ وبُعده عن الاتصاف بأحوال أهل الباطل وصفاتهم .

– وإنّ هذا المشهد العظيم يظهر عدل الله –عزّوجلّ– مع عباده في جزائه لهم على أعمالهم التي قدّموها في دنياهم؛ وأنّ جزاءه لهم على قدرها، وأنّ التقدّم والتأخّر فيه على حسبها، ولن يسبق أحدٌ عنده سبحانه إلاّ بسبقه في العمل ولايتخلّف إلاّ بتخلّفه فيه، هذا مع إحسانه وفضله ورحمته بأهل الإيمان في إدخالهم جنّته ورضوانه ممّن كان عمله سبباً في رحمته، أو لم يكن له عمل يوصله ولكنّما هو الإيمان الذي يحمله ويوقن به في قلبه؛ ورحمة الله تعالى التي تسبق غضبه وتسع كلّ شيء.

– هذا وإنّ هذا المشهد يعلن الميزان الحقّ عند الله تعالى، فلا يضرّ أهل الإيمان ويحزنهم أن كانوا مستضعفين مغلوبين مقهورين لاحظّ لهم في الدنيا ، ولا يشقّ عليهم أن يجدوا المستكبرين من أهل الكفر والضلال أصحاب قوّة وجاه وعلوٍّ وعزٍّ وسلطة ورفعة، فإنّ قوّتهم وجمعهم واستكبارهم ليس بمغن عنهم شيئاً يوم توضع موازين الحقّ من رب العزّة والجلال في يوم لا ملك فيه لأحد ولا حكم إلاّ له سبحانه، فيرفع حينذلك أهل الإيمان به ويخفض ويذلّ أهل الكفر والضلال وتحقّ حينها الحقائق..

– هذه أهمّ نتائج ممّا استخلصتها من مشهد الحوار القرآنيّ بين أصحاب كلٍّ من الجنّة والنّار والأعراف .. وإنّي من بعد أقترح أن يتناول طلاب العلم مشاهد القيامة في القرآن الكريم بمزيد من الدراسة والتأمّل وتتبّع ما تهدي إليه من فوائد وعِبَر وإرشادات ..

وختاماً أسأل الله تعالى أن يتقبّل منّي عملي هذا ، وأرجو أن أكون قد وفِّقتُ في بيان هذا المشهد العظيم مع فوائده ولطائفه وما يرمي إليه. وآخر دعواي أن الحمد لله ربّ العالمين وصلّ اللهمّ وسلِّم وبارك على نبيّنا وسيّدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

* * *

فهرس المصادر والمراجع :

- القرآن الكريم.
- **إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم** : أبو السعود : محمد بن محمد العمادي .٩ج . بيروت – لبنان : دار إحياء التراث العربي.
- **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن** : الشنقيطي ، محمد الأمين بن محمد المختار الجكني. ١٠ج . ١٣٩٣هـ/١٩٨٣م.
- **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**: البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي. ٥ ج . بيروت : مؤسسة شعبان للنشر والتوزيع .
- **تاريخ دمشق**: ابن عساكر، الحافظ أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله الشافعي.دراسة وتحقيق : علي شيري. دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
- **تبصير الرحمن وتيسير المنّان** : المهايمي، علي بن أحمد بن إبراهيم ، الطبعة الثانية. ٢ج . بيروت: عالم الكتب ، ١٤٠٣هـ /١٩٨٣م.
- تفسير ابن جزي الكلبي ، محمد بن أحمد . بيروت : دار الكتاب العربي، ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م.
- **تفسير البحر المحيط** : أبو حيان ، محمد بن يوسف الأندلسي الغرناطي، الطبعة الثانية . ٨ج . بيروت : دار الفكر، ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م.
- **تفسير التحرير والتنوير** : ابن عاشور ، محمد الطاهر . ٣٠ج . تونس : الدار التونسية للنشر، الجزائر : المؤسسة الوطنية للكتاب ١٩٨٤م.
- **تفسير القرآن العظيم** : أبو الفداء ، إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي . ٤ج . بيروت : دار المعرفة ، ١٤٠٥هـ.
- **تفسير المنار**: رضا، محمد رشيد، الطبعة الثانية، ١٢ج . بيروت: دار المعرفة
- **تفسير النسفي**،عبد الله بن أحمد بن محمود. الطبعة الأولى . ٢ج. بيروت : دار الكتاب العربي، ١٤٠٢هـ – ١٩٨٢م.
- **التفسير الواضح** ، محمد محمود حجازي ، ٢ج . بيروت : دار الكتاب العربي ، الطبعة الأولى، ١٤٠٢هـ – ١٩٨٢م.
- **تقريب التهذيب**: ابن حجر العسقلاني ، تحقيق: محمد عوامة. بيروت: دار ابن حزم ، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ.

- تهذيب الكمال: الحافظ المزي .
- **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنّان** : السعدي، عبد الرحمن بن ناصر . تحقيق: محمد زهري النجار. ٧ج. الرياض: الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ، ١٤٠٤هـ.
- **ثلاثة مجالس من أمالي الحافظ أبي بكر أحمد بن موسى بن مردويه – دراسة وتحقيق:** محمد ضياء الأعظمي . الإمارات العربية المتحدة : دار علوم الحديث ، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ .
- **جامع البيان في تفسير القرآن:** الطبري، محمد بن جرير. ٣٠ ج. بيروت: دار المعرفة ، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.
- **الجامع لأحكام القرآن:** القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري . الطبعة الثانية . ٢٠ج. بيروت : دار الكتاب العربي.
- **الجواهر الحسان في تفسير القرآن** : الثعالبي ، عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف. ٤ج. بيروت : مؤسسة الأعلمي للمطبوعات.
- **حاشية الجمل على تفسير الجلالين (الفتوحات الإلهية)** : العجيلي الشافعي، سلمان بن عمر، الشهير بالجمل . ٤ج . بيروت – لبنان : دار إحياء التراث الغربي.
- **حاشية الصاوي على تفسير الجلالين** : الصاوي، أحمد بن محمد .٤ج . بيروت : دار إحياء التراث العربي.
- **حجة القراءات** : ابن زنجلة، أبو زرعة عبد الرحمن بن محمد. حققه وعلّق عليه: سعيد الأفغاني. الطبعة الثانية. بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.
- **الحجة للقراء السبعة** : أبو علي الحسن بن عبد الغفار الفارسي. تحقيق: بدر الدين قهوجي – بشير جويجاتي ، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م . دمشق – بيروت : دار المأمون للتراث .
- **الدر المنثور في التفسير المأثور:** السيوطي ، جلال الدين . ٨ج . الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م . بيروت – لبنان : دار الفكر .
- **روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني:**الآلوسي ، أبو الفضل ، شهاب الدين السيد محمود. ٣٠ج.بيروت : دار إحياء التراث العربي .
- **زاد المسير في علم التفسير:**ابن الجوزي، أبو الفرج جمال الدين عبدالرحمن بن علي بن محمد . الطبعة الثالثة . ٩ج .دمشق – بيروت : المكتب الإسلامي ، ١٤٠٤هـ.

- **صحيح مسلم بشرح النووي:** القشيري، مسلم بن الحجاج – النووي، يحيى بن شرف. تحقيق وإشراف: عبد الله أحمد أبو زينة. ٥ج. القاهرة: كتاب الشعب.
- **العظمة:** أبو الشيخ الأصبهاني، تحقيق: رضاء الله المباركفوري. الرياض: دار العاصمة. الطبعة الأولى ١٤١١هـ.
- **غرائب القرآن ورغائب الفرقان:** النيسابوري، نظام الدين بن محمد بن حسين القمّي. تحقيق: إبراهيم عطوة عوض. الطبعة الأولى. ٣٠ج. مصر: شركة ومكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده.
- **فتح الباري شرح صحيح البخاري:** ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي. أشرف على طبعه محب الدين الخطيب. ١٣ج. الرياض: مكتبة الرياض الحديثة.
- **فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن:** الأنصاري، أبو يحيى زكريا. تحقيق: محمد علي الصابوني. الطبعة الأولى. بيروت: دار القرآن الكريم، ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م.
- **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير:** الشوكاني، محمد بن علي. تحقيق: عبد الرحمن عميرة – الطبعة الأولى. ٦ج، مصر: دار الوفاء، ١٤١٥هـ.
- **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل:** الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمد بن عمر. ٤ج. بيروت: دار المعرفة.
- **الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها:** القيسي، أبو محمد مكي بن أبي طالب. تحقيق: محي الدين رمضان، الطبعة الرابعة، ١٤٠٧هـ. ٢ج. بيروت: مؤسسة الرسالة.
- **لباب التأويل في معاني التنزيل:** الخازن. علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي: ٧ج. بيروت: دار الفكر، ١٣٩٩هـ.
- **لسان العرب:** ابن منظور. أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم. ١٥ج. بيروت: دار الفكر – دار صادر.
- **محاسن التأويل:** القاسمي، محمد جمال الدين. علق عليه: محمد فؤاد عبد الباقي. الطبعة الثانية ١٧٠ج. بيروت: دار الفكر، ١٣٩٨هـ.
- **مختار الصحاح:** الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر. بيروت – دمشق: مؤسسة علوم القرآن – مكتبة النوري، ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م.
- **المستدرك على الصحيحين:** الحاكم النيسابوري، أبو عبد الله محمد بن

عبد الله بن محمد. ٤ج. بيروت : دار الكتاب العربي .

- **معاني القرآن** : الفرّاء ، أبو زكريا يحيى بن زياد . ٣ج. الطبعة الثالثة ، ١٤٠٣هـ . بيروت : عالم الكتب .

- **معالم التنزيل** : البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء. تحقيق: خالد عبد الرحمن العك – مروان سوار . ٤ج. بيروت : دار المعرفة . الطبعة الثانية ، ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م.

- **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم** : وضعه محمد فؤاد عبد الباقي . بيروت : دار المعرفة . الطبعة الرابعة ١٤١٤هـ – ١٩٩٤م.

- **مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)** :الفخر الرازي ، أبو عبد الله محمد بن عمر بن حسين. الطبعة الثالثة . ٣٠ج. بيروت : دار إحياء التراث العربي.

- **المفردات في غريب القرآن** : الراغب الأصفهاني ، أبو القاسم الحسين بن محمد . تحقيق : محمد سيد كيلاني . بيروت: دار المعرفة.

- **نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر** : ابن الجوزي ، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن . تحقيق: محمد عبد الكريم كاظم الراضي. الطبعة الأولى ، بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٤ / ١٩٨٤م .

- **النشر في القراءات العشر**: ابن الجزري ، محمد بن محمد الدمشقي. أشرف على تصحيحه ومراجعته: علي محمد الضَّبَّاع . ٢ج. بيروت – لبنان : دار الكتب العلمية.

- **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**: البقاعي ، برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر . الطبعة الأولى . ٨ج. بيروت – لبنان : دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ.

- **النكت والعيون** : الماوردي ، ابو الحسن علي بن حبيب . تحقيق: خضر محمد خضر . راجعه: عبد الستار أبو غدة . الطبعة الأولى ، الكويت : طباعة مقهوى. وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية . التراث الإسلامي ، ١٤٠٣هـ.

* * *